جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2184) - السنة (54) ربيع الأول 1445هـ / 1 أكتوبر 2023م

تراثنا الإسلامي
بين التأويل والتشويه

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM

المجتمع

المنصات العربية

mugtama magazin

@mugtama

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

@mugtamaa

@mugtama

@mugtamaa

English platforms

@almujtama_en

@AlMujtama_en

@almujtama_en

@almujtama_en

اشترك أو جدد

داخل الكويت
10 د.ك

الدول العربية
17 د.ك

الدول الأجنبية
25 د.ك

المؤسسات والشركات
30 د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2184) - (السنة 54)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

تراثنا الإسلامي.. بين التأويل والتشويه

- نواب وأكاديميون: «منع الاختلاط» في جامعة الكويت محسوم بقوانين مسبقة 6
- د. طارق الطواري: تنقية التراث الإسلامي من الآراء الشاذة.. ضرورة 8
- دعاوى تأويل التراث وخطرها على هوية الأمة 13
- العنصرية.. خطر على تركيا ومن يعيشون فيها 34
- بعد نقل العاصمة لبورتسودان.. هل السودان في طريقه للتقسيم؟! 36
- سيد ولد آدم ﷺ 58

مقالات

ربانيون مع الأجيال.. الاستثمار الأمثل لساعات المدرسة
د. يوسف السند 49

نظام التفاهة وعالم الرويبضة!
ناصر حمدادوش 52

ثروة علمية على الرف أو رهينة الأدراج!
أ.د. زيد بن محمد الرماني 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

الصهاينة.. والحملة الشرسة على «الأقصى»

يواصل العدو الصهيوني حملته الشرسة على المسجد الأقصى المبارك، وقد بتنا نتابع كل يوم هجوماً جديداً على مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستهدف ساحاته، ويشتبك مع مَنْ بداخله من المرابطين رجالاً ونساء الذين ينوبون عن الأمة في حراسة المسجد المبارك على مدى أربع وعشرين ساعة، وقد أصبحوا يمثلون حائط الصد الأخير في الدفاع عن «الأقصى».

ورغم مشاهدة العالم، والعالم الإسلامي خاصة، الاقتحامات المتكررة، وتشديد الحصار، وإغلاق الشوارع المؤدية للمسجد الأقصى؛ فإن أحداً لم يتحرك، ولم تتخذ منظمة التعاون الإسلامي ولا الجامعة العربية خطوة عملية لوقف ذلك العدوان الهمجي المتواصل.

حتى على مستوى الشعوب، يخيم عليها الصمت المطبق، اللهم إلا من بعض الأصوات المنددة.

ويبقى «الأقصى» والقدس وحيدين في مواجهة أعتى هجمة وأشرس حملة شملت الاقتحامات المستمرة لساحاته المباركة، بهدف فرض التقسيم المكاني والزماني على غرار المسجد الإبراهيمي بالخليل، وتطوير عدوان شرطة الاحتلال لتفريغ «الأقصى»، وفرض الطقوس التوراتية، في توجه علني للتأسيس المعنوي لإعادة بناء «الهيكل» المزعوم.

وشملت الحملة أيضاً من قبل إقامة شبكة ضخمة من الأنفاق تحت جدران المسجد، وهي كفيلة وحدها بانهياره، وامتدت تلك الحفريات تحت أساسات المدينة المقدسة؛ ما تسبب في حدوث انهيارات كبيرة في المنطقة المجاورة للمسجد الأقصى.

وقد تضمنت تلك الحملة الشرسة التي يتم شنها على مراحل منذ عام ١٩٦٧م تغيير معالم القدس وإنهاء الوجود العربي فيها، الذي أصبح لا يمثل أكثر من ٢٠% من عدد السكان؛ تنفيذاً لخطة اللجنة الوزارية برئاسة «جولدا مائير» (رئيسة الوزراء الصهيونية سابقاً) الصادرة بشأن القدس عام ١٩٧٣م، بينما تنامى عدد السكان الصهاينة مع تنامي عدد المستوطنات التي تتمدد في القدس وما حولها كالأفعى ملتهمة ما تقابله من بيوت وأراض وممتلكات أهلنا في القدس.

وقد حوّلت سلطات الاحتلال الصهيوني ما يزيد على ٤٠% من مساحة القدس إلى مناطق خضراء، وتم منع الفلسطينيين من البناء عليها، وتستخدم كاحتياطي لبناء المستوطنات كما حدث في «جبل أبوغنيم»! ومنذ العام ١٩٩٣م يتم تنفيذ أوسع مخطط لإحكام السيطرة على المدينة المقدسة والمسجد الأقصى، وذلك برسم حدود جديدة للمدينة (القدس الكبرى)، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٦٠٠ كيلومتر مربع أو ما يعادل ١٠% من مساحة الضفة الغربية، لتبدأ حلقة جديدة من إقامة مستوطنات خارج حدود المدينة؛ هدفها الأساسي التواصل الجغرافي بين تلك المستوطنات لإحكام السيطرة الكاملة على القدس، كل ذلك يحدث تحت سمع وبصر العالم، والعالم العربي والإسلامي الذين صمّوا آذانهم عن استغاثات «الأقصى» لإنقاذه.

إن «الأقصى» لن يحرره الخائرون ولا المهتزون، وإنما سيحرره المجاهدون الذين باعوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى، ذلك وعد الله ولن يخلف الله وعده، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.■

آيــة العـــدد

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

(الحـــج)

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السـعودية:الشركة السـعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطـر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعـلانات :
امتياز الإعـلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

نواب وأكاديميون: قضية مبدئية لا تخضع للأهواء الشخصية..

«منع الاختلاط» بجامعة الكويت محسوم بقوانين مسبقة

كتب – المحرر المحلي:

حازت قضية الشُّعَب المختلطة في كلية الحقوق أو غيرها من الكليات اهتماماً نيابياً وشعبياً كويتياً واسعاً خلال الفترة الماضية، من خلال ردود فعل على قرار لجنة القيم البرلمانية الذي كان بالاتفاق مع وزير التربية وقيادات الجامعة على إعادة فصل الشُّعَب وتطبيق منع الاختلاط استناداً إلى القانون رقم (٢٤) الصادر عام ١٩٩٦م.

وكانت جامعة الكويت أعلنت على لسان مديرها بالإنابة فايز الظفيري التزام الجامعة بتطبيق قرار منع الاختلاط في الفصول الدراسية، وذلك في أعقاب اجتماع عُقد بين رئيس لجنة تعزيز القيم في مجلس الأمة النائب محمد هايف، ووزير التربية والتعليم العالي عادل المانع، في ١٣ سبتمبر ٢٠٢٣م.

وأكد مدير جامعة الكويت بالإنابة أن الجامعة تعمل على تجنّب وجود اختلاط في فصولها الدراسية، إلا عند وجود حالات استثنائية فعلية تقتضي ذلك، وناقشت لجنة تعزيز القيم في الكويت خلال اجتماعها قضية منع الاختلاط، بحضور وزير التربية وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ومسؤولي جامعة الكويت، وعدد من عمداء الجامعة.

وأوضح رئيس اللجنة النائب محمد هايف، في تصريح بالمركز الإعلامي لمجلس الأمة، أن الاجتماع تم خلاله وضع النقاط على الحروف بشأن تطبيق القانون رقم (٢٤) لسنة ١٩٩٦م بشأن تنظيم التعليم في جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب والتعليم في المدارس الخاصة، الخاص بالفصل بين الطلبة والطالبات في الجامعة ومنع الاختلاط.

وأشار هايف إلى أن النقاش أسفر عن اتخاذ قرار بإلغاء الشعب المختلطة في كلية الحقوق وغيرها من الكليات لمخالفته القانون، وأضاف: «القانون واضح في نصه على ضرورة الفصل بين الطلبة والطالبات، ومنح المسؤولين ٥ سنوات لاستكمال الفصل في جميع أنشطة الجامعة بين الطلبة والطالبات، مع إلزام الوزير برفع تقرير سنوي إلى مجلس الأمة يبين فيه إلى أي مدى وصل تنفيذ هذا القانون لاستكمال عملية الفصل».

هذا، وقد كان الاختلاط في الجامعة أمراً طارئاً على نسيج المجتمع الكويتي وطبيعته المحافظة، فرواد النهضة؛ رجالاً ونساء، في الكويت الذين وضعوا اللبنات الأساس التي قامت عليها نهضة البلاد كانوا خريجي المدارس القائمة على التعليم غير المختلط، وما تنعم به البلاد اليوم من رخاء وتنمية يعود بعد فضل الله تعالى لجهود أولئك الرواد المخلصين، بل إن الغرب بدأ اليوم يعيد النظر بالتعليم المختلط ويرصد الميزانيات التشجيعية لمؤسسات التعليم المنفصل بعد دراسات علمية تؤكد وجود سلبيات على التحصيل العلمي للطلاب والطالبات في التعليم المختلط.

المزايدات الجانبية!

وفي هذا الإطار، قال نائب رئيس مجلس الأمة محمد المطير: إن تطبيق القانون قضية مبدئية لا تخضع للأهواء الشخصية، ولا المزايدات الجانبية؛ لذلك يجب تطبيق

قانون منع الاختلاط، دون وضع عراقيل لعدم تطبيقه، فمن كان جاداً في تطبيق ما يرضي الله فسيجد منه سبحانه وتعالى كل العون والتأييد لتحقيق ذلك.

من جهته، قال النائب د. فلاح الهاجري: إن قضية إلغاء الشُّعَب المختلطة مبدأ محسوم بقوانين مسبقة، وأضاف: لن نغفل عن مشكلة الشُّعَب الدراسية، فمستقبل الطلبة محل تقدير واهتمام، ولن نكون عائقاً لتطبيق قانون توافقت عليه الرغبة الشعبية وأحكام الشريعة الإسلامية.

وقال النائب د. مبارك الطشه، مخاطباً وزير التربية: القانون رقم (٢٤/ ١٩٩٦) ينص صراحة على فصل شُعَب الطلبة عن الطالبات نصاً صريحاً ونافذاً ولا يحتاج إلى تأويل، وأضاف: نشيد بتعهداتكم والقيادات الجامعية في تطبيق القانون، وأي تراجع عن هذا القرار هو بمنزلة نقض للعهد وخضوع لمخالفة القانون؛ لذلك يجب أن تكون المحاسبة على عدم تطبيق القانون أو تعطيله.

وقال النائب خالد الطمار: نؤيد التزام مدير الجامعة بما تم الاتفاق عليه بإعادة فصل الشُّعَب، وأن المباني مصممة أساساً لذلك مع عدم الإضرار بالطلبة.

وقال أستاذ الشريعة بجامعة الكويت د. طارق الطواري: إن قانون منع الاختلاط تم تفعيله بعد فترة من الإهمال، وحتى لا يقع أبناؤنا ضحية سرعة تطبيق القانون دون توفير البدائل وفتح الشُّعَب الإضافية لتفادي تأخر تخرج الطلبة؛ يجب إعطاء وقت ومساحة للإدارة الجامعية لتوفير شُعَب إضافية وقاعات ومعلمين.

قضية من لا شيء!

وقالت عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت د. هيا بنت سلمان الصباح: قرار منع الاختلاط لو جاء من هيئة أجنبية لقلتم: سمعاً وطاعة! ولكنه جاء من الشرع فسرعان ما احمرت له أُنوف البعض، وتابعت: فرق بين الاختلاط العابر في الأسواق والطواف والمستشفيات، والاختلاط الدائم في التعليم والعمل وغيره، لا سيما في مرحلة جذوة الشباب.

فيما قال أستاذ العقيدة د. محمد المطر: إن جدل منع الاختلاط قضية من لا شيء! مبيناً أنه قانون صادر من الدولة يمثل رأي أغلبية النواب والمجتمع، موضحاً أن من أكبر المشكلات قضية عدم التوسع في تعيين أعضاء هيئة التدريس، فإدارة الجامعة مسؤولة عن توفير حاجات الطالب وحقوقه، مبيناً أن الشُّعَب المشتركة مقبولة في حالات ضرورية واقعية نادرة وليست الأصل بالتوسع فيها.

وكان مجلس الأمة أقر القانون رقم (٢٤) لسنة ١٩٩٦م بشأن منع الاختلاط، مُلزماً جامعة الكويت بتنفيذه، وهذا ما دفع الحكومة الكويتية أحياناً لبناء حرم جامعي خاص للبنات وآخر خاص بالذكور في كل كلية.

وقد مر القانون بثلاث مراحل قبل أن يقره مجلس الأمة الكويتي، ففي سابقة هي الأولى من نوعها، تقدم برلمانيون كويتيون بقانون منع الاختلاط في البرلمان عام ١٩٩٤م، إلا أن أرقام المؤيدين والمعارضين تساوت، وتم رفض القانون، ثم أعيد تقديمه مرة أخرى عام ١٩٩٦م، وتمكن النواب المؤيدون لقانون منع الاختلاط من تمريره، ثم ها هي المحطة الثالثة التي يأمل داعمو القانون أن تؤازرهم فيه المحكمة الدستورية بالإبقاء عليه.■

روايات
REWAYAT

الشايع
منذ SINCE 1928
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة الكويت د. طارق الطواري لـ«المجتمع»:

تنقية التراث الإسلامي من الآراء الشاذة.. ضرورة

قال الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة الكويت د. طارق الطواري: إن التراث المنقول هو المتنازع عليه الآن الذي فيه نزاعات وصدامات وأخذ ورد، مشيراً إلى أن الإسلام كتراث محفوظ.

وأضاف الطواري، في حواره مع «المجتمع»، أن الكم الهائل من الخرافات المحيطة بالتراث الإسلامي لا يمكن أن يتحملها الإسلام، فما لصق فيه من آراء شاذة وانحرافات وإسرائيليات وخرافات هو من عمل بعض المستشرقين.

أجرى الحوار:
سعد النشوان - سامح أبوالحسن

• بدايةً، نريد أن نتعرف على مفهوم التراث الإسلامي؟

- التراث يُطلق على الموروث الذي تركه السابق للاحق، وهذا التراث منه منقول؛ مثل التراجم والأشعار والمخطوطات والإنتاج العلمي والكتب والمؤلفات وغيرها، ومنه غير منقول؛ مثل المباني وكثير من الأشياء الأثرية، وهذا التراث جزء من الحضارة الماضية، والتركيز الآن على ما فيه نزاعات وصدامات وهو التراث المنقول.

• هل ترى أن التراث الإسلامي جامد؟

- في الحقيقة ما تركه السابق للاحق كثير، فيه الغث والسمين، وفيه إسرائيليات وتراجم، وفيه ما دس على العالم الإسلامي، وبدع وخرافات وآراء متشددة وأخرى شاذة، فهو مليء بالأخطاء، ودورنا نحن كطلبة علم أو مؤسسات علمية تنقية هذا التراث، ولذلك لا نستطيع تلبيس «طاقية» كثير من أعمالنا إلى الإسلام؛ لأن الإسلام شيء وما نقلته الأجيال السابقة إلى اللاحقة شيء آخر، الإسلام كتراث محفوظ؛ فالقرآن محفوظ، والتفاسير الصحيحة الثابتة المتوافقة مع اللغة العربية وآراء العلماء والسُّنة النبوية الصحيحة الثابتة وفق ما نقله العلماء شيء، والكم الهائل من الخرافات المحيطة بهذا التراث الإسلامي شيء آخر، فلا يمكن أن أحمل الإسلام مسؤولية ما لُصق به من آراء شاذة وانحرافات وإسرائيليات وخرافات.

إن هذا كله هو التراث الذي نقلناه، وما نعانيه من انسداد سياسي وفشل اقتصادي بسبب التراث كلام غير صحيح، فكثير من الناس يُرجعون الفشل إلى التمسك بالتراث، لذلك حينما نريد أن نعود بالناس إلى التراث الأصلي النقي يدَّعون أننا نريد أن نعيدهم إلى الظلام، مع العلم أن الإسلام فيه العدل والتسامح والإنسانية والتعاون مع الأمم الماضية، وقد عاش النصارى واليهود في حقب زمنية تحت حكم المسلمين أفضل من وضعهم الآن، فدائماً الإنسان ينتقي من هذا التراث ما يوافق هواه.

• ما ردكم على المحاولات المستمرة للطعن في التراث والسُّنة النبوية؟

- بداية، لا بد أن نعرف أن محاولات الطعن في السُّنة النبوية لأنها الشارحة للقرآن، فقد لا يجرؤ الإنسان على الطعن في القرآن مباشرة؛ لأنه سيثير الرأي العام، ويصطدم بأن القرآن محفوظ في الصدور، كما أنه مفسَّر باللغة العربية تفسيراً علمياً متوافقاً مع جمهور أهل العلم، فالحركة إذاً في الكتب المفسرة للقرآن، حيث إن الأحكام الشرعية التي جاءت في القرآن أغلبها غير مفسر، لذا جاءت السُّنة النبوية لكي تقر وتفسر وتنسخ وتقيد؛ ولذلك الطعن في السُّنة طعن غير مباشر في القرآن؛ حيث نجد أن هناك من يطعن في السُّنة عن طريق الطعن في حملتها الذين نقلوها إلينا، فأكثر من روى الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم هم: أبو هريرة، وعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وأم المؤمنين عائشة،

وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهم، والآن يتم الطعن فيهم.

ومنهم من يطعنون في السُّنة ويقولون: لماذا دُوِّنت السُّنة النبوية بعد ١٥٠ سنة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه الفترة كفيلة بدخول الكذابين والملبِّسين والمضللين؟ ولكن هذا الأمر لا يمت للحقيقة بصلة؛ لأن السُّنة مرت بمراحل منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فالصحابة لما رأوا أن الناس بدؤوا يتكلمون وينقلون سُنناً غير مشهورة أخذوا يستحلفون الإنسان، حتى إن معاوية حينما استقسم الرجل قال: «والله ما استقسمتكم بالله ريبة»، وتطور الأمر إلى أن يطلبوا الشهادة، وبدؤوا يسألون عن الإسناد، وهذا التطور في استخدام قواعد الجرح والتعديل كان يتواكب مع خروج السُّنة النبوية.

والسبب المباشر لتأخير تدوين السُّنة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم وقال: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن»، وقال: «من كتب عني شيئاً فليمحه»؛ لعدة اعتبارات، منها قلة أدوات القراءة والكتابة، وقلة من يقرأ ويكتب، وخشي النبي صلى الله عليه وسلم أن يتداخل القرآن مع السُّنة؛ لأن المتكلم واحد، واللوحة واحدة.

فظل الصحابة يحفظونها في صدورهم، خاصة أن العرب كانت ذاكرتهم قوية، فكانوا يحفظون ما يسمعون، حتى لما مات كبار الصحابة اجتهد أبو هريرة في جمع السُّنة النبوية ممن تواجد ثم دُوِّنت بعد ذلك.

• يقوم البعض بتفسير الآيات وفق منظوره، ما رأيكم في ذلك؟

– النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كاملاً ليعطي مجالاً لإعمال العقل؛ لذا تجد لكل مفسر طعماً في التفسير، ولو فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن تفسيراً كاملاً من «الفاتحة» إلى «الناس» لأغلق الباب على الآخرين؛ لذلك تجد

أن الشيخ الشعراوي، مثلاً، له طعم في التفسير، والإمام الرازي له طعم آخر، وكذلك القرطبي، وغيرهم، لكن أن تلوي عنق النص حتى تتوافق مع فكرة ذهنية في رأسك لا تتوافق مع اللغة والشرع فهذا غير مقبول.

• هناك من يتهم التيارات الإسلامية بأنها سبب ظهور الجماعات المتطرفة بسبب التراث، ما قولكم؟

– التراث هو مجموعة ما تركه السابق للاحق، ونحن بدورنا علينا أن نصفي هذا التراث، ولذلك المستشرقون كان لهم دور في هذا التراث، فبعض التراث مضر، وبعض المستشرقين يتعمدون إخراجه لعلمهم بأن هناك من يستفيد منه، فلست مسؤولاً عن تراث مليء بالآراء الشاذة، ويدعو إلى إلغاء الآخر وتهميشه، فإذا وجدت رأياً متطرفاً لعالِم من علماء الأحناف أو الحنابلة؛ لماذا أقوم بتحميله للإسلام؟!

• كيف يمكن نقل التراث إلى الأجيال القادمة؟

– الخطوة الأولى تنقية التراث، فنحن نتحدث عن كتب وتراجم ومخطوطات وتفاسير تحتاج إلى من ينقيها وتحقيقها، وهي أحد المشاريع التي نقوم بها في جامعة الكويت، خاصة الكتب المتداولة التي تحتاج إلى تحقيق؛ لأن إخراج هذا الكتاب على علاته فيه إضرار أكثر مما فيه نفع؛ لذلك يقدم هذا التراث من خلال التنقية والدراسة، ومن خلال المؤسسات الموثوق فيها، أما نقل التراث بعلاته ففيه الغث والسمين، والإسلام لا يتحمل الآراء الشاذة، فهناك كتاب «زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء» جمع فيه آراء العلماء، وقال: إن هناك آراء شاذة في التعامل مع الحكماء والعلماء والأمراء والنساء، فمن اتبع هذه الرخص قد أضر بالإسلام.

• ما الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بتنقيح التراث؟

– أولاً الأمانة العلمية، ثم القدرة على النقد، ثم المُكنة العلمية، ثم ما الذي ستستفيده الأمة من الكتاب؟ وما الإضافة العلمية؟■

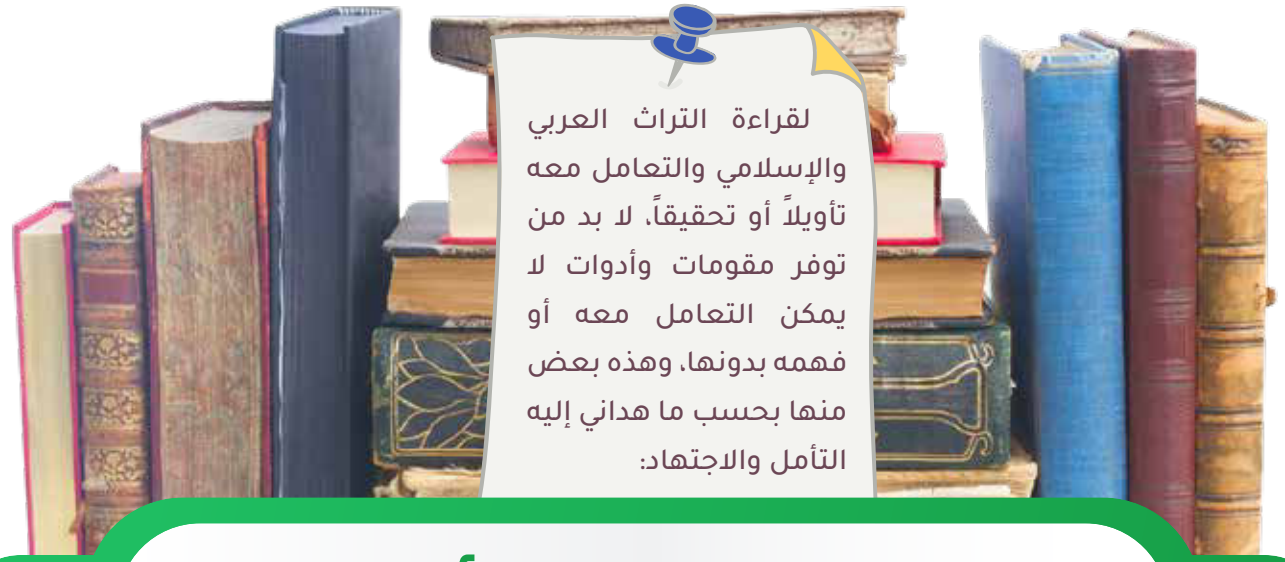

لقراءة التراث العربي والإسلامي والتعامل معه تأويلاً أو تحقيقاً، لا بد من توفر مقومات وأدوات لا يمكن التعامل معه أو فهمه بدونها، وهذه بعض منها بحسب ما هداني إليه التأمل والاجتهاد:

التراث الإسلامي وتأويله..
مقاصد واتجاهات.. مقومات وتحديات

د. وصفي عاشور أبوزيد

أستاذ أصول الفقــه ومقاصد الشريعــة

أولاً: دراسة هذا التراث والعيش معه:

فلا يمكن لأحد لم يقرأ نصاً تراثياً أن يتعامل معه أو يحكم عليه؛ فهذا التراث ليس سهلاً، بمصطلحاته وأدواته، بتاريخه ومراحله، بدلالاته وأعرافه، بمصنفاته وأعلامه، بمدارسه في كل علم واتجاهاته، ونحن نذكر هنا الشهيد عبدالقادر عودة وهو يكتب كتابه الفريد «التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي»؛ حيث حكى أنه عانى معاناة في فهم الفقه، وكان يقرأ الكتاب مرة ثم مرة ثم مرة حتى يستطيع أن يفهم.

ومن أسف أن الذين يهاجمون التراث، ويتخذون منه مواقف سلبية، أكاد أجزم أن واحداً منهم لم يطلع على صفحة واحدة من هذا التراث، وإذا قرأ فإنما يقرأ عنه ممن يكتبون عن جهل به وسطحية في النظر إليه، ويردد هؤلاء وأولئك أقوالاً يلوكونها بألسنتهم، ويحسبونها هينة وهي عند الله عظيمة.

ثانياً: تعلم اللغة العربية:

إذا كان تراثنا العربي والإسلامي كتب باللغة العربية، فلا بد من تعلم هذه اللغة حتى نستطيع أن نفهم نصوص الوحي، ونعبر إليه من خلال تراثنا العربي والإسلامي الذي يستوجب قراءته بلغته، ولا غرو فقد قامت علوم العربية من أجل خدمة القرآن والسُّنة، ولها علاقاتها الوطيدة بعلوم الإسلام، وحسبنا الكتاب الموسوعة الذي تجاوز الألف صفحة لابن الأزرق الغرناطي من علماء القرن التاسع الهجري بعنوان «روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام»، كما أن هناك كتباً تتحدث عن الوجوب الشرعي لتعلم العربية، وهذا حق، فإن باحثاً مدققاً منصفاً لا يسعه إلا أن يقول بوجوب تعلم العربية لمن اشتغل بعلوم العربية والإسلام.

ثالثاً: الوقوف على مقاصد المؤلفين:

لكل مؤلف من كتابه أهداف، وله في تناوله مصطلحات لها مضامين ودلالات، فقد يستخدم المصطلح قديماً بمعنى مغاير لما استقرت عليه الحال اليوم؛ فيقع الخلط ويحدث الفهم الخطأ والتأويل الخطأ، فقد كان الحديث الضعيف مثلاً عند الإمام أحمد يدخل فيه الحسن وألوان الضعيف، حتى إذا ما تطور علم المصطلح واستقر انفصل الضعيف عن الحسن، وبغير إدراك ذلك يمكن النقل عن الإمام أحمد نقلاً خطأ، والحكم على ما يقول حكماً خطأ، وهكذا.

وتتجلى مقاصد المؤلفين في مقدمات كتبهم؛ حيث إن كل عالِم يُودع مقدمة كتابه مقصودَه

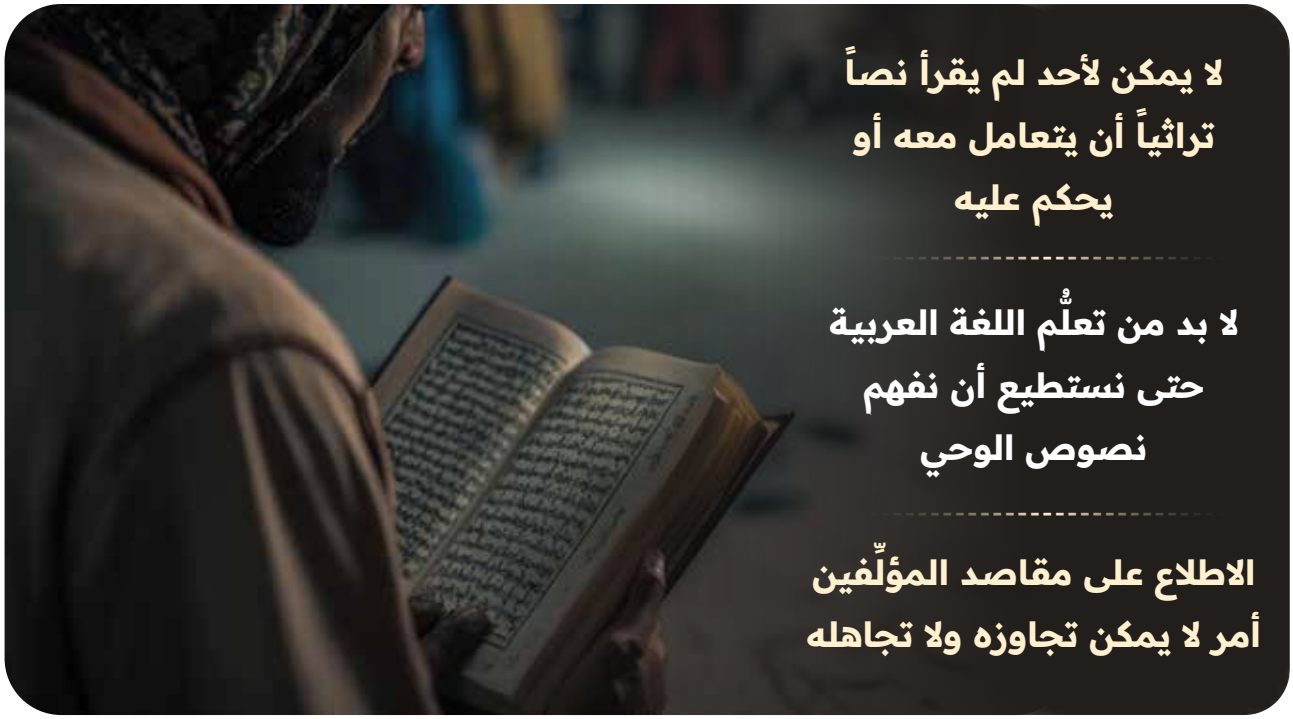

منه واصطلاحاتِه فيه، وبدون ذلك لا يمكن التعامل مع التراث ولا مناقشة الكاتب، ولا تأويل ما يقول، ومن هنا فإن الاطلاع على مقاصد المؤلفين أمر في غاية الأهمية والخطورة معاً، لا يمكن تجاوزه ولا تجاهله بحال من الأحوال.

رابعاً: معايشة المشتغلين بالتراث والرجوع إليهم:

لكل صنعة أهلها، ولكل علم رجاله، ولكل مجال خبيره الذي أمرنا الله تعالى بسؤاله والرجوع إليه: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ (الفرقان: ٥٩)، فلا يقبل أن يرجع الناس للمختصين والخبراء في كل مجال، ثم يصبح مجال التعامل مع التراث وتأويل مقولاته ملعبة ومعبثة في يد كل أحد، ومع كل من هبَّ ودبَّ، ويصبح مستباحاً للجهلة والسطحيين الذين لا يؤتمنون على قراءة صفحة واحدة من كتاب تراثي.

وإن معايشة مَنْ أفنوا أعمارهم في معالجة التراث وفهمه وحراسته من الأمور المهمة التي تُكوّن المَلَكة وتحقق المراد وتربي منهجية التعامل مع التراث وتأويله بدقة وتحقيق؛ فلا بد للأجيال المعاصرة أن ترث هذا الوعي والعمق في التعامل مع التراث، ولا يمكن لهذا أن يتحصل إلا بمعايشة من عانوا في هذا الطريق، وسلكوا في التعامل مع التراث سبيل التحقيق والتدقيق، فحالفهم من الله تعالى القبول والتوفيق.

تحديات أمام قراءة التراث الإسلامي وتأويله:

إذا كان ما سبق يعد مقومات في التعامل مع التراث، وأدوات يجب استكمالها من أجل تأويل التراث تأويلاً يتناسب مع منزلته المعرفية وقيمته الحضارية، فإن هناك تحديات لو لم نتغلب عليها ستحول بيننا وبين معرفة تراثنا؛ فضلاً عن تأويله تأويلاً صحيحاً، والتعامل معه تعاملاً سليماً، ومن هذه التحديات:

أولاً: ضعف الثقة بالذات:

إن ضعف الثقة بالنفس يمثل مرضاً نفسياً خطيراً، ليس في التعامل مع تراثنا فقط، وإنما في التعامل اليومي مع الحياة والأحياء والأحداث والأشياء، فالإنسان المتردد ضعيف الثقة بنفسه لا يمكن أن يُحدث فرقاً، ولا أن يقوم بتغيير؛ فضلاً عن أن يقوده ويمسك زمامه.

فاهتزاز الثقة بالذات من العوائق الكبيرة، وهي تمثل هنا الظن بأن تراثنا لا يرقى إلى التعامل مع الواقع، ولا يملك من الملاءمات ما يمكّنه من حل المعضلات الواقعية والمشكلات العملية، فهو يرى نفسه بلا جذر، ولا تاريخ ولا حضارة، وهذا من قلة اطلاعه على هذا التراث العظيم، ومن كثرة سماعه للجهلة والحداثيين والمتغربين الذين يتبعون الغرب حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو دخل جحر ضب خرب لدخلوه، ولا حل أو علاج أمام هؤلاء إلى استعادة الثقة بذواته وتراثهم من خلال قراءته ومعالجته والإقبال عليه، والإشراف على درره الثمينة وكنوزه العظيمة.

ثانياً: الفتنة بالغرب:

من المعوقات أو التحديات في التعامل مع التراث فضلاً عن تأويله الفتنة بالغرب، فها هو الغرب قد صعد إلى القمر، واخترع من المخترعات ما قاد به العالم، وهو الآن يحكم العالم ويتحكم في مقدراته، سواء بالأصالة أو بالوكالة، ولو كان الغرب على باطل لما تقدم هذا التقدم ولا تحكم هذا التحكم،

من التحديات في التعامل مع التراث فضلاً عن تأويله الفتنة بالغرب

كما أن العالم العربي والإسلامي لو كان على حق لما وصل إلى ما وصل إليه من تخلف وتقهقر وتشرذم وتفرق، وأن التراث العربي والإسلامي أحد أهم هذه العوائق عند المسلمين، تعوقهم نحو انطلاقتهم وتقدمهم كما تقدم الغرب.

وهؤلاء في الحقيقة عذرهم أنهم يرون ما عند الغرب من تقدم مادي وهو حق، رغم أن هذا التقدم المادي المنفصل عن القيم والأخلاق والروح ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، ولكنهم (أجيالنا) يجهلون تاريخهم وحضارتهم ولا علاقة لهم بتراثهم، ولو اطلعوا على ما عندنا من كنوز في سائر علوم الإسلام وعلوم الإنسان لما ذهبوا هذا المذهب، ولما وقفوا أمام حضارة الغرب مبهورين بها، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة!

ثالثاً: طبيعة الأجيال المعاصرة:

من التحديات التي تلفت الانتباه للتعامل مع التراث العربي والإسلامي وتأويله، التي تقف حائلاً بين أجيالنا وتراثنا؛ طبيعة هذه الأجيال؛ طبيعتها الإنسانية اليوم، وأخلاقها في مجملها؛ فهي أجيال عجولة، لا قدرة لديها على التحمل، ولا طاقة لها على الصبر، تريد الإنجاز السريع والعمل السريع والنتائج السريعة، كيف لا وهم يحققون من أعمال في لحظات ودقائق ما كان أسلافهم يحققونه في أيام وشهور وسنين؟! ولكن ما أبعد الفرق بين المسلكين! وما أعظم البون بين النتيجتين هنا وهناك!

فهذه الطبيعة لأجيالنا المعاصرة تحتاج إلى إعادة تأهيل، وتعزيز التربية على الصبر الجميل، وقوة الإرادة وعلو الهمة، وبذل الجهد، ومحاكاة السابقين في هذا كله، وهو أمر يحتاج إلى تفكير وتخطيط بما يتناسب مع هذا التحدي الكبير.

رابعاً: سلبيات وسائل التواصل:

لا يخفى على أي متابع ما ترسخه وسائل التواصل الاجتماعي من طباع وأخلاق في الأجيال الصاعدة، حتى انسحب هذا التأثير على الأجيال الكبيرة سناً التي طرأ عليها هذا العالم وطرأت عليه؛ حيث عاشت قبله واقع الحياة دون وجود هذه الوسائل، والتحدي يتمثل في أن هذه الوسائل قد أسهمت في تسطيح الثقافة، وتفريغ

طبيعة أجيالنا المعاصرة تحتاج إلى تأهيل والتربية على التحمل

الأجيال من مضمونها، وترسيخ ثقافة «تيك أواي»، وحرق عمرها وإضاعة أوقاتها في غير سبيل الرشاد إلا من رحم الله تعالى!

فالأجيال تضيع أعمارها وأوقاتها في مشاهدات ومتابعات ما لا يسمن ولا يغني من جوع، ومع طول الوقت وتقدم العمر تصبح هذه الأجيال خاوية على عروشها، لا ثقافة ولا علم ولا ارتباط بالتراث ولا إنجاز.

إن هذه الوسائل تمثل تحدياً ليس قليلاً يحول بين الأجيال وتراثها، ويضعها في حالة غربة عنه؛ لأنها لا تقضي وقتاً معه، ولا تقرأ فيه ولا عنه، بل تعيش مستغرقة في ساحة هذا العالم الافتراضي، ومتسربلة في جاذبيته واستتباعه■

دعاوى تأويل التراث وخطرها على هوية الأمة

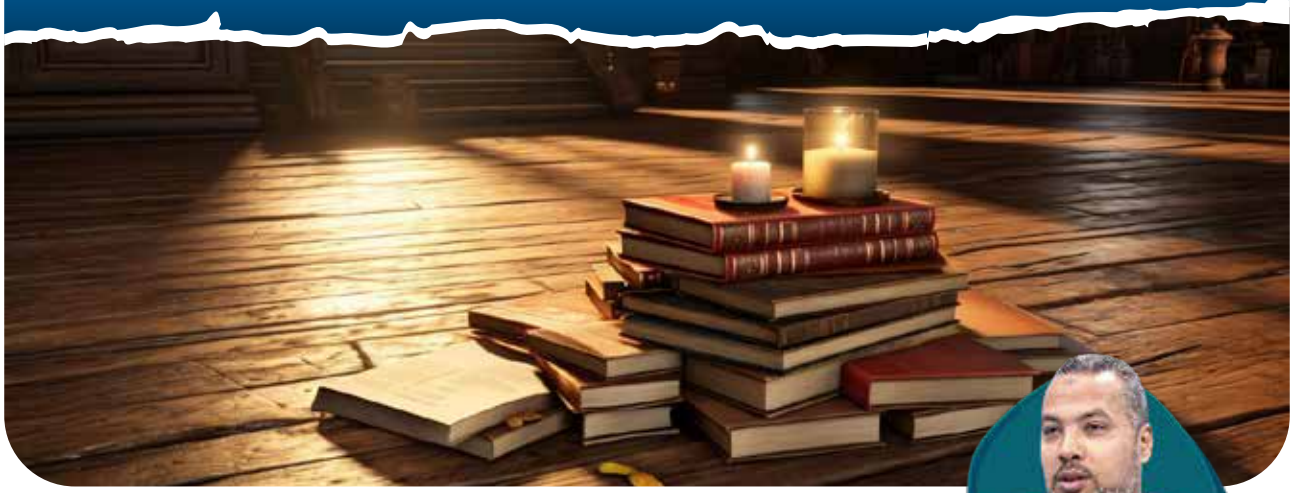

د. حاتم عبدالعظيم

أستاذ مساعد في الشريعة الإسلامية

وقع العقل المسلم في الدور الحضاري الأخير بين منهجيتين منحرفتين؛ الأولى: الثورة على التراث ومحاولة التنصل منه ورميه بكل نقيصة ونسبته إلى الماضوية المنقطعة عن الحاضر والمعادية للمستقبل، والتراث في طرح هؤلاء يشمل القرآن والسُّنة بوصفهما اجتهاداً تاريخياً لا يجاوز حدود بيئته الأولى زماناً ومكاناً.

والمنهجية الثانية: منهجية تقديس التراث والحؤول بين العقل المسلم والاجتهاد الأصيل والتجديد المنضبط اللذين لا تستغني عنهما مسيرة بشرية.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هاتين المنهجيتين متناقضتان، بيد أنهما في حقيقة الأمر وجهان لعملة واحدة رديئة، يتكاملان في حرمان الأمة من شرطي النهوض الحضاري الذي لا يمكن أن يكون إلا برعاية الأصول والثوابت التي يسعى الفريق الأول لهدمها، وبالاجتهاد الواسع في مواكبة المتغيرات الزمانية، وهو ما يصادمه الفريق الثاني؛ لتظل الأمة تدور بين شقي الرحى؛ تمييع الثوابت من جهة، وتثبيت المتغيرات من جهة أخرى، وكلاهما يهدم ركناً ركيناً من أركان الشهود الحضاري.

ومقصودنا في هذه العجالة مناقشة المنهجية الأولى، التي تحولت خلال القرن الأخير لمعركة فكرية حقيقية ما زالت ممتدة ومتنامية منذ بدأها الاستشراق الغربي، الذي كان تواقاً لاستكمال مشروعه الاستعماري؛ عبر تذويب الهوية وتفكيك البنية الاجتماعية الصلبة للمجتمعات المسلمة، لتتحول إلى حالة من الهشاشة تمكنه من السيطرة والتوجيه، لتؤول الأمة إلى التبعية والاستسلام على المستوى الفكري والاجتماعي في آن واحد.

التشكيك بأصالة التراث

وقد اعتمدت حركة الاستشراق وتلامذتها المقلدون من بني جلدتنا في هذا السياق عدداً كبيراً من المنهجيات والتقنيات، بيد أن منهجيتين مركزيتين بعينهما كانتا لب المعركة؛ الأولى: تقوم على التشكيك في أصالة التراث الإسلامي بجملته وادعاء أنه محاكاة تاريخية لمنتجات حضارات سابقة؛ فالنظام السياسي الإسلامي هو محاكاة لآراء فلاسفة اليونان، والحديث الإسلامي عن اليوم الآخر والجنة والنار وأسماء الله وصفاته مقتبس من العقائد اليهودية، وأصول الفقه محاكاة للمنطق الأرسطي، والفقه الإسلامي بتشريعاته هو في زعمهم اقتباس من القانون الروماني!

وعلى ما في هذه الدعاوى من تهافت منهجي لا يستحق عناء المناقشة، فإن أكذوبة اقتباس التشريع الإسلامي من القانون الروماني التي مثلت نقطة المركز في هذه الدعوى مثيرة للعجب! إذ تتجاهل ما أثبته مؤرخو الحضارة الرومانية أنفسهم من أن ظهور القوانين الرومانية كان في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بعد عدة قرون من استقرار الفقه الإسلامي وترسخ مدارسه، فإن كان ثمة تشابه أو استفادة فلا شك أن اللاحق هو الذي استفاد من السابق.

نحن، إذن، لسنا أمام بحث جاد عن الحقيقة ولا تأريخ منصف للعلم، إننا أمام

نتيجة معدة سلفاً يراد لها أن تشيع لتبنى عليها مشاريع فكرية تدعو لنبذ التراث الذي لم يقدم إلا إعادة إنتاج للأفكار القديمة، ولم يبدع شيئاً خاصاً أو أصيلاً، وما دامت المسألة اقتباساً، فلماذا لا يعيد المسلمون الكَرَّة ويقتبسون من الرومان المعاصرين كما اقتبسوا من أسلافهم؟!

ومن خلال هذه المنهجية حاول القوم أن يجعلوا التاريخ مشاعاً ليحرموا الإسلام من منجزاته الحضارية وينسبوها إلى إبداعات قوم آخرين لم يكن للإسلام فيها فضل التأصيل ولا للمسلمين فيها شرف التنزيل! أما منجزات اليونان والرومان والفراعنة والآشوريين فكلها منسوبة إلى أصحابها صادرة عنهم، فهذه الشيوعية التاريخية لا يوصف بها إلا الإسلام، حتى «الماضوية» و«التاريخانية» وفقاً لاصطلاحاتهم لا يمكن أن يصفوا بها أرسطو ولا أفلاطون، فقط يصفون بها مالكاً والشافعي وأضرابهما.

أما المنهجية الثانية فمنهجية التشكيك الواسع في ثبوت النص وصحة حقائق التاريخ وثوابت التراث تنفيراً منها وترغيباً عنها، وللقوم في ذلك باع كبير؛ فهم يشككون في ثبوت السُّنة ومنهج الرواية والإسناد، ويشككون في مصداقية الرواة حتى الصحابة منهم كأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما، وكذلك في حفاظ السُّنة ومدونيها الكبار كالبخاري ومسلم.

وهم أيضاً يشككون في مصادر التاريخ الإسلامي، والمقصود من هذا التشكيك العريض إفساح المجال لرواياتهم هم لأحداث التاريخ وتفسيرهم هم لأحكام الدين وحقائقه، وهذا التشكيك في النقل مقدمة لازمة كذلك لطرح فكرة تقديم العقل على النقل التي هي غاية القوم.

ادعاءات أركون

وحسبنا للتدليل على ذلك أن نتوقف أمام نص لمحمد أركون، أنقله على طوله مضطراً لخطورة مضمونه، يقول: «عندما ينقل محمد سورة قرآنية فإنه حينئذ ليس إلا أداة بحتة للتوصيل والنقل دون أي تدخل شخصي، إنه فقط يتلفظ بكلام الله، وهو إذن الناطق بكلام الله في اللغة العربية، كان هناك شهود وصحابة يحيطون به أثناء ذلك، وقد حفظوا عن ظهر قلب السور واحدة بعد الأخرى، يطيب للتراث المنقول أن يذكر أنه في حالات معينة فإن بعض السور كان قد سجل كتابة فوراً على جلود الحيوانات وأوراق النخيل أو العظام المسطحة.. إلخ، واستمر هذا العمل عشرين عاماً.

كان طبيعياً، بعد وفاة النبي، أن تطرح مسألة جمع هذه السور في كل متكامل، ذلك أن زمن الفتح قد ابتدأ وأصبح الصحابة يتبعثرون في الأمصار، فكر الخليفة الأول أبو بكر بتجميع أكبر عدد من السور وكتابتها من أجل حفظها، وتم بذلك تشكيل أول مصحف (مصحف في حالته البدائية)، وقد وضع هذا المصحف عند عائشة بنت أبي بكر وزوجة النبي، هذه السور القرآنية سوف تستخدم مباشرة بصيغ جدالية هدفها الصراع على السلطة السياسية، هذا ما يمكن أن نستشفه من التراث المنقول على الرغم من الرقابة الصارمة التي أحيط بها هذا التراث.

راح الخليفة عثمان (أحد أعضاء العائلة المعادية لعائلة النبي!) يتخذ قراراً نهائياً بتجميع مختلف الأجزاء المكتوبة سابقاً والشهادات الشفهية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأُوَل، أدى هذا التجميع عام ٦٥٦ م إلى تشكيل نص متكامل فرض نهائياً بصفته المصحف الحقيقي لكل كلام الله كما قد أوحي إلى محمد، ورفض الخلفاء اللاحقون كل الشهادات الأخرى التي تريد تأكيد نفسها (مصداقيتها)؛ مما أدى إلى استحالة أي تعديل ممكن للنص المشكل في ظل عثمان».

هذه هي رواية التراث، وهذه الرواية

المشككون حاولوا أن يجعلوا التاريخ مشاعاً ليحرموا الإسلام من منجزاته الحضارية وينسبوها إلى إبداعات قوم آخرين

«التأويل» أكذوبة كبرى والمقصود الحقيقي «تعطيل» التراث وحرمان الأمة من عوامل قدرتها على الفعل الحضاري

الواجب الأقدس للأمة حفظ ثوابتها من العبث وفتح الباب أمام الاجتهاد الأصيل الذي ينطلق من ثوابت الدين

التي تمثل اليوم الموقف الإسلامي العام التي لها قوة المسلَّمة التي لا تُناقش ولا تُمس، لنعد صياغة هذه الرواية مرة أخرى: كل كلام الله الموحى به إلى محمد كان قد نقل بصدق وإخلاص كامل، ثم حفظ كتابة في المصحف المشكل زمن عثمان أي خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة النبي.

إذن، يريد أركون فتح باب التشكيك في ثبوت النص القرآني على مصراعيه وهو يفعل ذلك تلميحاً وتصريحاً:

– فهو يستغرب أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم مجرد ناقل للوحي دون تدخل منه في شيء من نصوصه!

– ويتعجب من استظهار الصحابة لكل نص قرآني وحفظهم إياه بمجرد تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم له.

– وما جمع من القرآن في عهد أبي بكر كان أكبر عدد ممكن من السور وليس كلها، وجمع هذه السور كان بقصد توظيفها في المعارك السياسية.

– والجمع الكامل للمصحف كان في عهد عثمان الذي ينتمي لعائلة معادية للنبي صلى الله عليه وسلم!

– ومصحف عثمان قام على رفض كل الشهادات الأخرى وتكميم أفواه أصحابها!

– ويتعجب أركون غاية العجب من أن يعد المسلمون مصحف عثمان «كل كلام الله الموحى به إلى محمد»! ويتعجب من اعتقادهم أن هذا النص قد نقل بصدق وإخلاص كامل ثم حفظ كتابة في المصحف المشكل زمن عثمان أي خمسة وعشرين عاما بعد وفاة النبي!

– ويختم بالسخرية من إجماع الأمة؛ سُنة وشيعة، على مصحف عثمان.

مسلك للتشكيك بالقرآن

كل هذه النقاط مسلك للتشكيك في النص القرآني حشدها الرجل في بضعة أسطر، ويستخف أركون أخيراً باجتماع الأمة على القرآن وعجز أي أحد عن توجيه نقد له، وهنا بيت القصيد؛ ليس الإجماع هو الذي أعطى للقرآن قدسيته، بل القرآن هو صانع الإجماع، وهو مناط الاجتماع، وهو السياج الذي يحمي لُحمة الأمة ويصنع وحدتها، والتشكيك فيه على هذا النحو الفج البذيء مقصوده حرمان الأمة من أصل بقائها وأصلب مقومات وجودها.

كل هذا التشكيك والتزييف والتحريف يسمى «تأويل التراث»، وكلمة التأويل هنا أكذوبة كبرى، والمقصود الحقيقي هو «تعطيل» التراث وحرمان الأمة من مقومات وحدتها وعوامل قدرتها على الفعل الحضاري البناء وصولاً إلى النهوض والشهود.

ويبقى الواجب الأقدس لهذه الأمة هو أن تحفظ ثوابتها من العبث وتفتح الباب واسعاً أمام الاجتهاد الأصيل الذي يضيف لرصيد التاريخ ولا يخصم منه، وينطلق من ثوابت الدين ولا يتمرد عليها، حينئذ ستحدّث الأرض أخبارها.■

التراث الإسلامي.. بين الجافي والغالي

دائماً ما عُرف الحق بأنه فضيلة بين رذيلتين، لكن إدراكه ووسطيته يتفاوت فيه الناس بين مصيب ومُخطئ؛ لا سيما في عظام الأمور المفتقرة إلى الإحاطة بالمعرفة والتدقيق في مستندها وإمعان النظر في حجيتها، ثم أخذ الموقف المُقسط منها، ومن ذلك الموقف من التراث الإسلامي الذي يختلف فيه النخب والمثقفون، فضلاً عن سائر الناس، بين الغالي والجافي.

سنحاول، في هذه السطور، تفكيك أصل الإشكال ومعالجته محافظين على نفس القسط الذي أمر الله تعالى به على لسان رسله وفي سائر كتبه حيث قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَالْبَيِّنَاتَ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكَتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بَالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥).

محمد الحداد

«التراث» في اللغة هو ما يُترك للورثة، ففي القرآن: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا﴾ (الفجر: ١٩)، قال ابن منظور: «ما رجع إلى الإنسان ميراثاً له»[١]، وقد عُمم هذا المفهوم ليشمل سائر ما يُترك فكان التراث في الاصطلاح: كل ما يؤول إلى الإنسان سواء كان مادياً أو معنوياً.

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم»[٢]، وقال أبو هريرة في الدين عامة عند وصفه قوماً في المسجد يصلون ويقرؤون القرآن ويتذاكرون الحلال والحرام: «فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم»[٣]؛ وعليه، فإن مفهوم التراث يشمل جميع ما وصلنا ممن سبقنا مادياً؛ كالمنجزات الحضارية، أو معنوياً؛ كأمور الدين والفكر.

وأصول الإشكالات بين نظرة الجفاة والغلاة تجاه التراث تبدأ من ذات التعريف؛ فيرى البعض أن عامة التراث أمر يخلو من القدسية؛ فهو منتج بشري معرض للنقد، ويرى آخرون شمول جميعه للتقديس من حيث أصالة نصوص الوحي على ما أُنجز فيه، ويرى المقسطون الفصل بين ما هو مقدس -كنصوص الوحي؛ قرآناً وسنة، وما حفظ من إجماع لجيل الأوائل- وما هو منجز إنسانيٌّ، وإن أُنجز في ضوء التمسك بتوجيهات الوحي؛ فإنه معرض للنقد بالنظر إلى معياري موافقته للوحي من جهة، وصلاحه في ذاته من جهة أخرى.

وهذا الإشكال البادئ من التعريف ألقى بظلاله على النظر إلى جميع هذا التراث على تنوع موضوعاته سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.. أو غيرها، وهو ما دفع إلى سؤال: لِمَ يجب أخذ موقف من التراث أصلاً؟!

التراث وسؤال الحضارة

في عصر النهضة، تخلصت أوروبا من سلطة الكنيسة، وبنت حضارتها الجديدة على الفصل بين كل ما هو روحي، ومنه الأخلاق، ومادي؛ فقدمت الأخير؛ ولذلك لم يتمثل لديها أدنى حرج من الأخذ تارة، والسطو، تارات، على منجزات الحضارات الأخرى، وكان من ضمن ما سطت عليه المخطوطات التراثية العربية التي ما زالت مكتبات أوروبا

البعض ينفي قدسية التراث وآخرون يقدسون جميعه أما المقسطون فيفصلون بين المقدس والمنجز الإنساني

تمتلئ بها حتى اللحظة سواء ما احتوى منها على علوم الوحي حصراً كمخطوطات القرآن والسُّنة والفقه وغيرها أو سائر العلوم المادية.

ومع أن ذلك التراث لم ينفصل فيه المادي عن الروحي، فقد بُني الأول على الأخير، إلا أن فلسفة هذه الحضارة الجديدة أبت إلا أخذ موقف عدائي من كل ما هو ديني، وفي الجانب الآخر من العالم، ومنه بلاد المسلمين، حيث كانت جيوش الاستعمار تهدم الديني والدنيوي، برز السؤال الحضاري الجديد: هل نتخلى عمّا تميزت به أمتنا من تراث واسع وعلى رأسه الوحي المقدس كما صنعت

التراث الإسلامي المتضمن للرؤية الكونية هو ما يحتوي على عناصر القوة التي يصلح استلهامها

أوروبا حتى نصير إلى ما صارت إليه من قوة مادية، أم نحافظ على ما لدينا من تراث وإن صرنا في ذيل الأمم؟

ولا شك أن كلا الطرفين قد قدم مقدمات خاطئة تقود إلى نتائج خاطئة[٤]، فإن الحضارة الغربية ليست مثلاً يُحتذى، لا سيما مع ظهور ما أفسدت على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، بل وحتى البيئي، ليُقال: لندع الدين حتى نصير إلى ما صارت إليه! وليس الدين -نعني به الإسلام على وجه الخصوص- سبباً في تأخر المنجزات الحضارية المادية؛ بدليل ما كانت عليه الحضارة الإسلامية من سبق وريادة في سائر المجالات.

الصراع بين منهجين

وفي ضوء هذا الصراع، نشأ منهجان مختلفان تجاه الموقف من التراث؛ الأول: من جافاه بدعوى أنه السبب فيما وصلنا إليه من تخلف، ومن هذا يقول سلامة موسى: «أسوأ ما أخشاه أن ننتصر على المستعمرين ونطردهم، وأن ننتصر على المستغلين ونُخضعهم، ثم نعجز عن أن نهزم القرون الوسطى في حياتنا، ونعود إلى القديم»[٥]، ويقول زكي نجيب محمود: «التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته»[٦]، قبل أن يتراجع عن ذلك فيما بعد.

والثاني: من نشأ كرد فعل على هذا التطرف؛ فاعتبر جميع التراث مادة مقدسة لا يجب مراجعتها حتى ما كان منها متعلقاً بالاجتهادات والآراء، بل وما اختُلف فيه في زمنه.

أما المقسطون فقد فرّقوا بين مكامن القوة في التراث الذي يصلح استلهامه في كل زمان ومكان، وعلى رأسه الرؤية الإسلامية الشاملة عن الحياة والكون والإنسان التي تسم بطبيعتها جميع المنجزات الحضارية المادية بوسم خاص يحوي صلاحها واستمرارها؛ وبين ما هو اجتهادات بشرية تصيب وتُخطئ ويصلح بعضها لزمن دون الآخر.

ومن انتبه إلى هذا التفريق أصبح من الواجب عليه تعيين مكامن القوة في هذا التراث؛ بداية من الإجابة عن الأسئلة الحضارية: من نحن؟ وماذا نريد؟ ولماذا النظر في التراث؟ وانتهاء بالتفصيل في عوامل النهوض التي بدأت منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أسباب السقوط زمن الاستعمار.

ولا شك أن أهم مكامن القوة في التراث الإسلامي الإجابة عن هذه الأسئلة الحضارية إجابة واضحة، فأخبر أن البشر عباد الله، استخلفهم لإعمار الأرض بطاعته في كل مجالات الحياة لا لأجل الطعام والشراب والترف، فأصبح هدف كل من آمن بذلك إقامة أمر الله تعالى في الأرض بعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وعليه؛ فإن التراث الإسلامي المتضمن لهذه الرؤية الكونية هو وحده ما يحتوي على عناصر القوة التي يصلح استلهامها في سائر المجالات دون غيره، ودلائل ذلك ثابتة نظرياً حتى قبل دراسة تفاصيلها عملياً بالتبحر في علوم التراث وإثبات عمقها وتفردها، ولعل الكثير من الدراسات للتراث الإسلامي في سائر الجامعات الغربية الآن خير شاهد على التماسهم حل مشكلاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منه[٧]، فضلاً عن تحتم ذلك على من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً.■

الهوامش

(١) لسان العرب ج٢، ص ٢٠٠.
(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وغيرهما، وصححه الألباني.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني (١٤٨٣).
(٤) مقدمة عمر عبيد حسنة لكتاب التراث والمعاصرة.
(٥) ما هي النهضة؟ ص ١٠.
(٦) تجديد الفكر العربي، ص ١١٠.
(٧) مشروع وائل حلاق وجورج صليبا نموذجاً.

كيف نستثمر تراثنا في بناء مستقبلنا؟

الثروة الثقافية والفكرية من أهم مصادر القوة؛ فبها يتم بناء وعي الإنسان، وتشكيل شخصيته المتميزة، وإعداده للقيام بوظيفته الحضارية؛ لذلك فإن المكانة العالمية تعتمد على قدرة الأمة على استثمار تاريخها وتراثها في بناء مجتمع المعرفة الذي تنطلق فيه العقول لتنتج أفكاراً جديدة، وحلولاً مبتكرة للمشكلات، ومواجهة التحديات.

د. سليمان صالح
أستاذ الإعلام - جامعة القاهرة

الأمة الإسلامية تمتلك ثروة معرفية أنتجتها عقول المسلمين، وبنوا بها أعظم حضارة عرفها التاريخ، عاش فيها الإنسان حراً عزيزاً مكرماً قوياً يؤمن بالله وحده، ويعمر الأرض عبادةً لله، ويطور العلوم والآداب، ويبني المدن، ويعلم الناس، وينشر نور المعرفة.

ولكي تتمكن الأمة الإسلامية من قيادة الإنسانية مرة أخرى لبناء حضارة جديدة، يجب أن تعيد اكتشاف ثروتها المعرفية والثقافية، وتوظيفها لتحرير الإنسان من الخرافات العنصرية الغربية، ومن الاستعمار الثقافي.

ولتحقيق هذا الهدف يجب إعداد جيل جديد من الباحثين والعلماء الذين يعتزون بالانتماء للإسلام؛ عقيدة وحضارة وثقافة ومنهج حياة، وأن ينطلقوا من الرؤية الإسلامية للكون والحياة، وأن يتحرروا من استخدام المناهج العلمية الغربية التي ترغم الباحث على وصف الظواهر وتفسيرها بالأساليب المادية.

كما أن هؤلاء الباحثين يجب أن يحرروا أنفسهم من الأساليب التي استخدمها المستشرقون لتشويه التاريخ الإسلامي التي اعتمدت على التركيز على الأحداث السلبية وتضخيمها، وتجاهل الإنجازات الحضارية العظيمة التي قدمها علماء الإسلام.

تحرير المصطلحات

هناك أيضاً قضية مهمة؛ تتمثل في مراجعة المصطلحات التي فرضها الغرب علينا، التي أصبح الباحثون يستخدمونها بدون تفسير دلالاتها، فالعالم يعيش منذ بداية القرن التاسع عشر حرب مصطلحات ومفاهيم ونظريات وكلمات، يستخدمها الغرب في تزييف وعي الشعوب وتضليلها.

ويعتبر مفهوم «التراث» من أهم هذه المفاهيم التي دفعت الكثير من الباحثين إلى التعامل مع مصادر قوة الأمة وثروتها الفكرية دون تمييز وتحديد للأهمية، وتصوير الأمر على أن كل ما تمتلكه الأمة من ثروة علمية وفكرية مجرد تراث يمكن الاستغناء عن بعضه والتخلي عنه بهدف الخضوع للواقع، ولمتطلبات الاستعمار الغربي.

ويجب أن نحدد حدود مفهوم التراث، وأساليب التعامل معه؛ فالقرآن الكريم ليس تراثاً؛ فهو كلام الله تعالى المنزَّل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتكفل له بحفظه إلى يوم القيامة بكلماته ومعانيه ونسيجه الصوتي، وهو المصدر الرئيس لقوة الأمة، وأساس بناء

لكي تتمكن الأمة من قيادة الإنسانية يجب إعادة اكتشاف تراثها وتوظيفه لتحرير الإنسان من الاستعمار الثقافي

على العلماء البحث عن الإنجازات العلمية والأدبية التي قدمت وصفاً صحيحاً لتحرير البشرية من الظلم

تطوير مقاييس جديدة لنقد التراث واكتشاف مصادر القوة فيه وعدم الخضوع للمقاييس الغربية التي تشوه الإسلام

الحضارة الإسلامية، وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان، وكل ما جاء فيه حق، ولا مجال للمساومة حول تلك الحقيقة؛ لأنها عقيدة المسلمين التي توحدهم، ويجب التعامل مع القرآن بأدب واحترام وتقديس، وهذا هو الأساس لقبول الحوار مع الآخرين، والتعامل مع كل من يدَّعي البحث العلمي.

كما أنه يجب التعامل مع سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم باحترام وتقديس، فلقد اجتهد علماء الأمة في حفظ السيرة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وطبقوا مناهج علمية للتأكد من صحة الحديث وصدق رواته وعدلهم، ومضمون الحديث.

كما اجتهد علماء المسلمين في وصف أحداث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فأصبحت الأمة تعرف بيقين سيرة رسولها، وتفخر بهذه السيرة التي تؤكد صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والسيرة والسُّنة وحديث النبي صلى الله عليه وسلم مصدر مهم للقوة؛ حيث ألهمت المؤمنين في كفاحهم لتحرير البشرية من العبودية لغير الله ولبناء الحضارة الإسلامية.

تراث علمي وأدبي عظيم

بالرغم من نقدي العلمي لمفهوم التراث، فإنني أقبل التعامل مع ما أنتجه المسلمون لبناء الحضارة من علم وأدب وشعر بالمناهج العلمية كتراث، وإن كنت أفضل مفهوم الثروة العلمية والمعرفية والثقافية والحضارية على مفهوم التراث؛ فهذا المفهوم يمكن أن يفتح المجال لاستثمار هذه الثروة وتوظيفها.

ونرى أن المستشرقين نقبوا في تلك الثروة العظيمة عن أحداث سلبية، وآراء ضعيفة، واجتهادات شكلت اختلافات بين الأمة، وساهمت في تمزيقها؛ لذلك يجب أن يقوم علماء الأمة بدورهم في البحث عن الكثير من الإنجازات العلمية والأدبية التي قدمت وصفاً صحيحاً لكفاح الأمة لبناء الحضارة الإسلامية، وتحرير البشرية من الظلم.

من أهم ما يجب أن نبحث عنه لبناء وعي الأمة وصف العلماء والأدباء والشعراء لما حققته الأمة من انتصارات خلال تاريخها، فهو مصدر مهم لتحقيق القوة الإسلامية، وبناء مستقبلها، والفخر بهويتها وتاريخها.

ولقد تم تجاهل هذا الوصف والتشكيك في صحته خلال القرنين الماضيين تحت تأثير الاستعمار الثقافي، وحاول أنصاف الجهلاء تشويه صورة قادة المسلمين الذين حققوا الانتصارات، خاصة صلاح الدين الأيوبي، وادعوا كذباً أنهم يطبقون المناهج العلمية، وأنهم يقومون بنقد التراث، بينما كانوا ينقلون أكاذيب الغرب، ويخدمون الاستعمار.

لكن في المقابل، يجب على جامعاتنا أيضاً أن تقوم بدورها لتأهيل باحثين لنقد الكثير من التراث، فالغرب اعتمد في تشويه الإسلام على كتاب «ألف ليلة وليلة»، واستمد منه الكثير من القصص التي تحولت إلى أفلام؛ بينما لا تمت تلك القصص للإسلام أو العرب بصلة، كما تم الاعتماد على الكثير من السير الشعبية التي تم إنتاجها في عصور الضعف، ونسبها الغرب زوراً وكذباً للحضارة الإسلامية.

لذلك، يجب أن نطور مقاييس جديدة غير غربية لنقد التراث، واكتشاف مصادر القوة فيه، وعدم الخضوع للمقاييس الغربية التي تستهدف تشويه الإسلام، والأمة الإسلامية تحتاج لتوظيف علمائها الذين يفخرون بالانتماء لها في اكتشاف ثروتها الفكرية، وتقييمها في ضوء القرآن والسُّنة.■

حاولت مشاريع إعادة تأويل التراث الإسلامي أن تقدم منهجاً مختلفاً في قراءة الكتاب والسُّنة وإرث الأمة المنتسب إليهما، هذا المنهج لا يعلن النكير على التراث ولا القطيعة معه، ولكنه يستخدم نصوصه ومصطلحاته لتقديم رؤية منفصلة عن جوهره وحقيقته المتمثلة في كونه يحمل في طياته رسالة ربانية أخيرة لكل إنسان في كل زمان ومكان، الرسالة التي تقتضي وضوح دلالتها وثبات أحكامها ووجوب الالتزام بتعاليمها كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).. ومن المشاريع التأويلية للنص الشرعي والتراث الإسلامي مشروع د. محمد شحرور وقراءته المعاصرة.

مشاريع إعادة تأويل التراث.. د. محمد شحرور أنموذجاً

همـــام الطوالبـــة

وُلد د. محمد شحرور في دمشق عام ١٩٣٨م، وتوفي في أبو ظبي عام ٢٠١٩م عن عمر ناهز ٨١ عاماً، حصل على شهادة الدكتوراة في الهندسة المدنية من جامعة دبلن في أيرلندا، وعُيِّن مدرساً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق، وبدأ بدراسة القرآن الكريم بعد هزيمة عام ١٩٦٧م، وأصدر كتابه الأول «الكتاب والقرآن.. قراءة معاصرة» عام ١٩٩٠م، وأتبعه بـ١٠ كتب، كان آخرها «دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم.. المنهج والمصطلحات» في عام ٢٠١٦م.

وأثار مشروعه في تأويل القرآن الكريم «القراءة المعاصرة» جدلاً واسعاً في مختلف الأوساط، ففي الوقت الذي عارضه فيه متخصصو الشريعة الإسلامية بوصفه مشروع «تحريف للدين»، اعتبره بعض الحداثيين مجرد محاولة تلفيقية مفلسة لـ«استنطاق التراث» بما يضمره صاحب القراءة المعاصرة.

أفكار صادمة

كانت نتائج مشروع د. شحرور صادمة للرأي العام المسلم، وخارجة في كثير من الأحيان عن حد اللياقة والأدب الإسلامي المعروف، فمن نتائجه الصادمة التي يزعم الوصول إليها: إعادة تعريف المسلم، فالمسلم في فهم د. شحرور هو المؤمن بوجود الله تعالى وباليوم الآخر والذي يعمل صالحاً، وليس من شهد لله بالوحدانية ولا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، كما ينطق بذلك الإنسان أول دخوله في الإسلام، ليَدخل في مسمى المسلم اليهودي والنصراني والمجوسي والبوذي وغيرهم؛ لأن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ليست من أركان الإسلام! بحسب شحرور. (انظر كتابه: الإسلام والإيمان، ص ٣٨).

لم تكن هذه المسألة الوحيدة الصادمة التي أفرزها مشروع د. شحرور، فنفيه لعلم الله تعالى الأزلي، ووصفه له بما لا يليق به سبحانه، وتحريفه لمعاني القرآن الكريم، وإباحته للفطر في رمضان بلا عذر، وفتاواه الشاذة في العبادات، وتحديده للحد الأدنى من عورة المرأة بما يستحيي القلم عن خطه، وإباحته الزنى الخفي باتفاق الطرفين، وغير ذلك من الأمثلة والمسائل، هي التي نبهت العلماء إلى خطورة هذا المنهج في قراءة الوحي الشريف، وهي ما جعلتهم يلتفتون إلى

فساد المنظومة المعرفية التي أنتجتها.

ولذلك توالت الجهود العلمية المختلفة لبيان الأخطاء الجسيمة التي وقع بها د. شحرور، وكان آخرها الجهد المشكور الذي قدمه د. صهيب السقار في الرد على منهج د. شحرور بأدواته المعرفية نفسها في ثلاثة كتب، وفي برنامجه المتاح على «يوتيوب» الذي سماه «فنجان قهوة».

ولكن التساؤل بعد ذلك: كيف تسللت مثل هذه الأفكار إلى المجتمع المسلم؟ وما المنهج المعرفي الذي أعطاها مبرر الرواج فيه؟ وما المنهج المعرفي المقابل الذي لا يسمح لمثل هذه الأفكار بالتمدد فيه بالمستقبل؟

إنكار حجية السُّنة النبوية

يعتمد منهج د. شحرور في نموذجه المعرفي على نفي الوحي عن السُّنة النبوية وإلغاء حجيتها، فالسُّنة النبوية في مشروع د. شحرور مجرد تجربة تاريخية لا تمثل منهج الله تعالى الواجب الاتباع على مر الزمان والمكان، فيفرق د. شحرور تفريقاً تعسفياً بين السُّنة الرسولية والسُّنة النبوية، ويجعل السُّنة الرسولية وحدها واجبة الطاعة، ويحصرها في القرآن الكريم فقط، أما السُّنة النبوية -وهي كل ما عدا القرآن الكريم من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته- مجرد أحداث تاريخية مناسبة لوقته وزمانه، لا تصلح لزماننا، ولا تلزم أحداً

نتائج مشروعه كانت صادمة للرأي العام المسلم وخارجة عن حد اللياقة والأدب الإسلامي

السُّنة النبوية عنده مجرد تجربة تاريخية لا تمثل منهج الله المفروض على مر الزمان والمكان

فشل في جذب المفكرين والباحثين إليه لضعف بنيته العلمية وتناقض مقرراته مع قواعد الدين

بعد زمانه. (شحرور، دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، ص ٤٤ - ٤٥).

وبعد إسقاط السُّنة النبوية في الحجية والتشريع، زعم د. شحرور أنه يعتبر القرآن الكريم الأصل الوحيد الذي يعتمد عليه لبيان أحكام الله تعالى، ولكنه في الوقت نفسه نجده ينظر إلى بعض آيات القرآن الكريم بعين التجربة التاريخية، فيعتبر أن في القرآن الكريم نصوصاً تاريخية لا تؤخذ منها أحكام شرعية، ولا علاقة لها بمضمون الرسالة، إلا من حيث ورودها لتصديق فحوى الرسالة، كقصص الأنبياء عليهم السلام، والآيات التي تتحدث عن غزوات «بدر» و«أحد» و«الأحزاب» وغيرها من أحداث السيرة النبوية التي وردت في القرآن الكريم. (شحرور، دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم، ص ٣٩).

ثم يُعمل د. شحرور مبضعه الذي يسميه «القراءة المعاصرة» فيما بقي من آيات الكتاب العزيز، ليستنطقها بثقافة الحضارة الغالبة، بمنهج ظاهره اللغة، وحقيقته قواعد مخترعة أجنبية تخرج على اللغة ومناهج دلالتها، ليصل عن طريقها إلى معانٍ جديدة تنسب إلى النص، وليست منه.

يتضح مما سبق أن منهج القراءة المعاصرة يضرب منهج الاستدلال الذي أرشد إليه القرآن الكريم نفسه لبيان أحكام الدين، كسُنة النبي صلى الله عليه وسلم وقواعد تفسير النصوص الشرعية ومقاصد الدين الكلية، ونتائجه الصادمة هي خلاصة منطقية لذلك المنهج الفاسد في الاستدلال، ولكن الفائدة الأهم التي يمكن أن نخرج منها من هذه التجربة التاريخية مع د. شحرور هي ضرورة تقديم تأصيل علمي متين للشباب المسلم يبين أصول الإسلام ومناهجه العلمية في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة.

أما مشروع د. شحرور فقد فشل في جذب المفكرين والباحثين إليه، لضعف بنيته العلمية وتناقض مقرراته مع نفسها ومع قواعد الدين المقررة، ولا يتوقع له أن يستمر حاضراً فاعلاً في الأمة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧).■

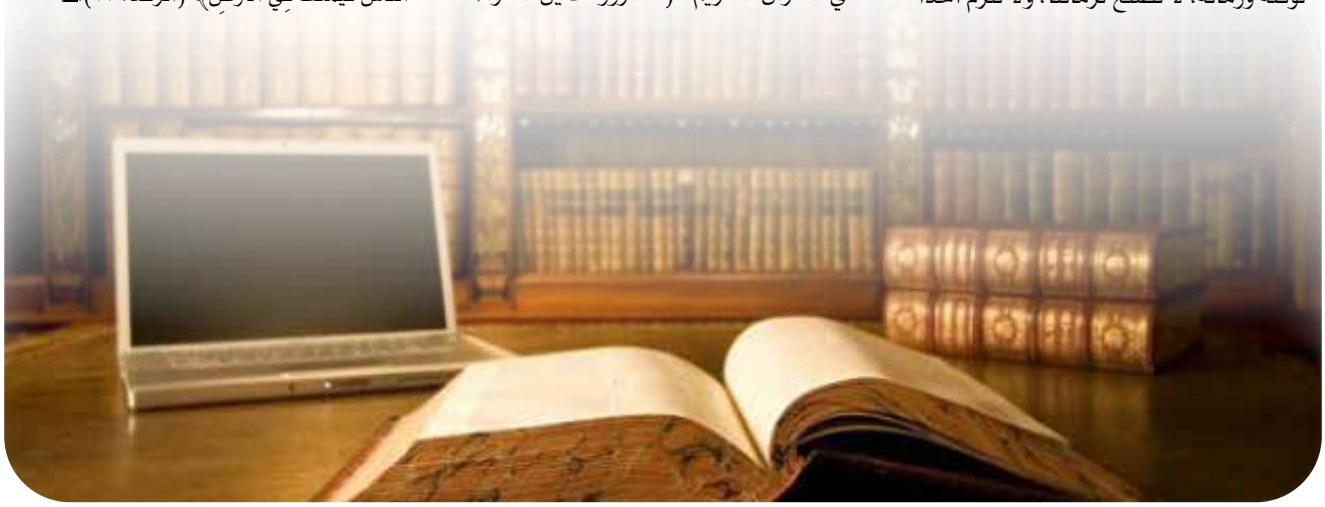

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين د. علي القره داغي لـ«المجتمع»:

على المؤسسات الدعوية والاتحادات العلمائية التصدي لأعداء التراث الإسلامي

يعيش التراث الإسلامي أزمة معرفية نتجت عن صراع حضاري أُقحم فيه لنقل المعركة من طور الأنا والآخر لطور جديد يُعدل فيه عن قداسة النص وسلاسل الإسناد إلى ما يمليه رأي المتكلم دون دليل سوى ما تمخض عنه عقله دون الأخذ في الاعتبار توافر الآلة أو صلاح محل.

في هذا الحوار الذي أجرته «المجتمع» مع فضيلة د. علي القره داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، سلط الضوء على ظاهرة تأويل التراث الإسلامي، وما وراءها وخطورتها، بالإضافة إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة في هذا الموضوع الشائك.

حوار – محمد هاشم:

• بداية، لماذا يكنُّ البعض كل هذه الضغائن والعداء تجاه تراثنا الإسلامي؟

– بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

أولاً قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، أودُّ أن أوضح ما مفهوم التراث؛ لأنه محل اختلاف كبير بين العلماء وبخاصة علماء الاجتماع، والتعريف الذي نراه راجحاً وصحيحاً هو أن التراث عبارة عن «كل ما تركه الأقدمون»، فيشمل: التراث النبوي، والتراث الشرعي، والتراث الإنساني، والتراث الفكري، والتراث المادي، والتراث القومي والشعبي.

وبهذا المعنى الشامل نقسم التراث الإسلامي إلى قسمين؛ تراث له قدسية وهو القرآن الكريم والسُّنة النبوية المشرفة؛ لقوله سبحانه في محكم كتابه بسورة «فاطر»: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، فهذا الجانب من التراث هو المتمثل في النصوص الشرعية الصحيحة، وهذا النوع من النصوص لا يجوز تحريفها أو تبديلها؛ وإنما هي نصوص مقدسة.

لكن معاني هذه النصوص على نوعين؛ نوع واضح المعنى، قطعي الدلالة والثبوت؛ أي لا يحتمل النص معنى غيره وهي تلحق بالتراث المقدس، أما ما عدا ألفاظ ومعاني هذه النصوص القطعية فإنها داخلة في الفقه العام والاجتهادات العامة التي لم تصل إلى مرحلة الإجماع، فكل هذا النوع من التراث

أكبر مظاهر العداء هو تشويه هذا التراث والتشويش عليه

يقبل النظر والنقاش دون تبخيس ولا تقديس، هذا بالنسبة لمفهوم التراث.

وبالرجوع لسؤالكم: لماذا هذا العداء للتراث الإسلامي؟ أجيب بأن هذا التراث الإسلامي يمثل الحضارة الإسلامية ببعديها الشرعي النصي الفقهي والاجتهادي، والحضاري في مجالات مختلفة مثل الاجتماع والاقتصاد والكيمياء والفيزياء، وهؤلاء الذين يعادون تراثنا لا يعترفون لهذه الأمة بتاريخها ولا يريدون مجدها وحضارتها؛ وبالتالي يحاربون هذا التراث حتى تبقى أمتنا بدون رصيد أو جذور أو أصول، فهذا هو أحد الأسباب.

والسبب الآخر يتمثل في العداء الأيديولوجي، وهذا حتى داخل عالمنا الإسلامي، مع الأسف الشديد، من العلمانيين والشيوعيين المتطرفين الذين يكرهون هذا

التراث كراهة عقدية أيديولوجية.

• ما أبرز مظاهر العداء للتراث الإسلامي وفي القلب منه السُّنة المطهرة؟

– بالطبع أكبر مظاهر العداء هو تشويه هذا التراث، والتشويش عليه بكل ما تعنيه الكلمة، سواء كان تراثاً نبوياً –وهو مقدس في نظرنا– وبالأخص الكتاب والسُّنة النبوية الصحيحة الثابتة، أو تراثاً حضارياً، وهدمه يعني اقتلاع وإنكار جذور الإسلام، ومحاولة النيل من هذا التراث بجعله أبعد عن حقائق الإسلام.

• الأعداء يحولون جهودهم إلى مؤسسات لتركيز الهجوم على ثوابتنا وتراثنا، فبالمثل كيف تتركز جهودنا في مواجهتهم؟

– الرد على هذا السؤال يكون بوضع خطة إستراتيجية تكاملية بين السياسيين والمفكرين والمثقفين وطبعاً العلماء والمجتهدين، والاستفادة من علماء الأمة؛ كل في مجاله، هذا في مجال التفسير والحديث أو الفقه والأصول، يبذلون جهودهم لإثبات هذا التراث وعظمته وأهميته، وأن هذا التراث الإسلامي هو المِشْعَل لحضارة أوروبا، وهو الذي أسرج وأضاء القناديل في أوروبا، وحتى هذا باعتراف المنصفين من علمائهم.

وللأسف، عندما يبحث التاريخ الأوروبي عن التراث الإيجابي يبدأ حديثه بالكلام عن التراث اليوناني والأفريقي والروماني، وينتقل مباشرة إلى العصر الحديث، وهذا ظلم وتعسف كبير!

واجبنا أن نركز ونوحد جهودنا في مواجهتهم، وإثبات عكس ذلك، وإبراز دور تراثنا الإسلامي في الحضارة والقيم الإنسانية من حيث التعامل وفي التقدم.

• ما دور الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في التصدي لأعداء التراث؟

– بتحقيق التراث الإسلامي وإبرازه بالشكل المطلوب بشقيه؛ النبوي الشريف المتمثل في كتاب الله وسُنة نبيه الصحيحة صلى الله عليه وسلم، والتراث الفكري الفقهي والاجتهادي والاجتماعي وغير ذلك، فنحن نحارب بكل وسائلنا، ومن خلال لجاننا وعلمائنا ومراكزنا نحاول إبراز وإثبات هذا الدور.

وطبعاً الأهم من ذلك وضع هذا التراث في محله دون تقديس أو تبخيس؛ لأنه كرد فعل على هؤلاء المستشرقين أو هؤلاء العلمانيين هناك من يقدس التراث مطلقاً، والتراث الإسلامي عدا الكتاب والسُّنة ليس مقدساً، وإنما هو قابل للاجتهاد والتغيير والتطوير، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يواجه الجهتين؛ جهة التبخيس التي تبخس التراث الإسلامي، وجهة التقديس التي تقدس غير الكتاب والسُّنة، وهذا طبعاً لا بد أن تتضمنه هذه الجهود، وأنا أسميه «فقه النزاع».

• ختاماً، ما الجهود الاحترازية التي تنصحون بها وتودون أن يقوم عليها الأفراد والمؤسسات والحكومات لحماية الثوابت والمقدسات؟

– الجهود الاحترازية تتمثل في أن تهتم وزارات التربية بغرس وتفهيم المجتمع والطلبة من الروضة إلى الجامعة، في بيان حقيقة هذا التراث ودوره في تحقيق الحضارة وتحقيق الإنسانية والتعاون والتفاهم بين البشر، والتفرقة بين التراث المقدس الذي لا نستطيع النيل منه، والتراث الاجتهادي الإنساني الذي هو قابل للمناقشة والتعديل والتغيير والإضافة والتجديد وما أشبه ذلك، ثم توجيه الخطباء والعلماء لتحقيق هذه الأهداف المهمة.

يعني، بصراحة، نحتاج إلى خطة إستراتيجية شاملة؛ لوضع التراث في محله والاستفادة منه استفادة قصوى، وإبراز دوره على مستوى عالمنا الإسلامي والعالم كله.■

التراث الإسلامي هو المِشْعَل لحضارة أوروبا باعتراف المنصفين منهم

الذين يعادون تراثنا لا يعترفون لهذه الأمة بتاريخها وحضارتها

نحتاج خطة إستراتيجية للاستفادة من التراث وإبراز دوره الحضاري

«الإعلام الإسلامي» في مواجهة أصحاب المشاريع المعادية للتراث

تحقيق – مجاهد الصوابي:

بداية، إذا تساءلنا: هل تستطيع الأمة الإسلامية أن تبني قوة إعلامية؟

للإجابة عن هذا السؤال أكد الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى للصحافة السابق **قطب العربي**، أن الإعلام الإسلامي مهمته الرئيسة مواجهة المشاريع التي تنال من الثوابت والهوية الإسلامية للأمة، وأن يتعامل مع تلك المشاريع الإعلامية التغريبية بنفس الأسلحة التي يستخدمونها؛ من ناحية الشكل والمضمون، فمن ناحية الشكل على الإعلام الإسلامي أن يحدد رسائله للفئات المستهدفة المتنوعة وبالوسيلة التي تناسب كل فئة من فئات الجمهور.

ويضيف: فمن الجمهور ما يناسبه الصحافة المكتوبة، ومنه ما يناسبه التلفاز، ومنه ما يناسبه وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة وبالذات الشباب، ويستطيع الرد وتوضيح الافتراءات والاتهامات التي وجهها الإعلام المضاد الذي ينال من الثوابت والهوية الإسلامية؛ لأن ذلك الإعلام يستخدم أيضاً مضموناً قوياً، يستخدم كفاءات إعلامية وعلمية منحرفة بطبيعة الحال لكنها تمتلك منطقاً قوياً؛ وبالتالي ينبغي أن يكون الرد عليه بمنطق أقوى.

وأشار العربي إلى أن صاحب المشروع الإسلامي بالتأكيد لديه بضاعة صالحة وقضية ناجحة؛ ولكنها تحتاج إلى محام جيد أيضاً يستطيع أن يدافع عنها، من فقهاء وإعلاميين ومفكرين ومثقفين وفنانين، وكل الفئات عليها أدوار مختلفة في مواجهة الهجمة على الثوابت والهوية الإسلامية، والإعلام الإسلامي هو القناة أو الوسيلة التي تنقل هذه المضامين إلى الجمهور المستهدف.

ومن العراق، يقول **د. أيمن خالد**، الإعلامي والباحث الأكاديمي: إنه يجب أن تعتمد مواجهة أي أمر على امتلاك القائم بالدفاع لأدوات الرد، التي يفترض أن تمثل الضد النوعي لسلاح العدو ومن جنس رسالته التي يستخدمها في تلك المواجهة، أو يتفوق على ما يمتلكه العدو من معلومات وحجج.

وإذا ما اتفقنا على أن التراث الإسلامي هو ميراث المسلمين من نبيهم وصحابته وعلماء المسلمين، وأعظم هذا التراث القرآن والسُّنة، وصحيح الأثر، والمخطوطات الموجودة في ذلك، ووفق هذا التصور تكون الأداة الأولى للمدافعين عن التراث الإسلامي امتلاك المعرفة والمعلومة والقدرة على توظيفها في مكانها المناسب، إضافة إلى صحة المصادر الشرعية للنصوص وتأويلها وفق القواعد الشرعية أصولاً وفقهاً، خصوصاً وأن ديننا الإسلامي قائم على البرهان لتوضيح تمام الخطاب الإسلامي الموجه للعالمين جميعاً من دون لبس أو تشكيك، فهو منهاج ودستور وشريعة حياة.

ويضيف د. خالد أن المواجهة اليوم لأعداء التراث الإسلامي والمشككين بنتاجه تعتمد على استثمار واستغلال الأدوات العلمية والفنية من وسائل الترويج الإعلامي، والنشر

العربي: الإعلام الإسلامي مهمته مواجهة المشاريع التي تنال من الثوابت والهوية الإسلامية

د. خالد: مواجهة أعداء التراث تعتمد على استثمار الأدوات الفنية من وسائل الترويج الإعلامي

زكريا: مع التطور التكنولوجي هناك فرص للإعلام الإسلامي للاشتباك مع القضايا بشكل مؤثر

تحت ظل ثورة علم الاتصال وما يتضمنه من وسائل إلكترونية ورقمية متطورة، التي يحاول أعداء الإسلام التمسك بمفاتيحها وتطويرها لصالحهم؛ لذا يتوجب لمواجهة أصحاب المشاريع المعادية للتراث الإسلامي تأمين جبهتين علميتين:

الأولى: تهيئة وتدريب كوادر ذات قدرة عالية في مجال المعلومات وتداولها، مبنية على سلامة الفكر، ومحصنة علمياً بقضايا وعلوم الشريعة ومقاصدها، وإكسابهم القدرة في مجال الصحافة والإعلام ونشر الدعوة، قادرين على الإقناع بالحجة والدليل، ومطلعين على طريقة تفكير الشعوب على اختلاف ثقافاتها ومرجعيتها الفكرية.

والثانية: تقوم على تأمين الجانب الفني والتكنولوجي لزيادة القدرة على استخدام واستثمار علم وسائل الاتصال بكل أنواعها وفروعها، من أجل إيصال رسائل الرد والدفاع عن التراث الإسلامي، سواء داخل الدول الإسلامية نفسها، أو إلى الدول والشعوب غير الإسلامية.

ويؤكد الخبير الإعلامي أنه تبقى هناك أساسيات يجب عدم إهمالها، وهي أن معادلة الداخل؛ أي الداخل العربي والإسلامي، لا تقل خطورة في المواجهة، بحسب ما نلاحظه من هجمات منظمة من تيارات علمانية مدعومة لتشويه الحضارة والتراث الإسلامي؛ ذلك الأمر الذي يتطلب العمل وفق منظورين؛ منظور الداخل ومنظور الخارج، والاستعانة بالكفاءات الإعلامية ذات التوجه الإسلامي الحقيقي.

وترى مدرس الإعلام ومناهج البحث في «أكسل إنترناشونال أكاديمي» **هبة زكريا** أنه عندما نتحدث عن الإعلام الإسلامي، فإننا بحاجة أولاً إلى تعريف هذا المصطلح، والحقيقة أنه تعريف جدلي إلى حد ما، ولا يزال قيد البحث والدراسة، فالبعض يقصد به «الإعلام الديني الإسلامي»؛ أي المعنيّ بالإسلام كدين والاهتمام بأخباره وموضوعاته وقضاياه ومناسباته الخاصة، وهو في هذه الحالة يقع تحت بند الإعلام المتخصص.

بينما البعض الآخر يقصد بهذا المصطلح المنصات الإعلامية المتنوعة (المقروءة، والمسموعة، والمرئية، والتفاعلية) التي تتضمن سياساتها المتعلقة بالمحتوى والأداء ضوابط تتبع الإسلام منهجاً ومقاصد، وهناك تعريف ثالث يشير إلى أن الإعلام الإسلامي هو المعنيّ بشؤون المسلمين وأخبارهم شرقاً وغرباً.

والحقيقة أن كلهم على ذات القدر من الأهمية، فالأول والثالث، في رأيي، يشيران إلى الإعلام المتخصص، أما الثاني فيشتبك مع الممارسة الإعلامية العامة كصناعة ومجال مهني، وتتنوع أدوار الثلاثة بتنوع الجمهور المستهدف وشرائحه وخصائصه، لتشمل الجمهور المتخصص والنخبوي والعام.

وتؤكد زكريا أن التنافسية بين النوع الثاني والمجال الإعلامي العام تحتدم؛ إذ يفترض به القيام بنفس الأدوار من «إخبار، توعية، ترفيه، تفاعل.. إلخ)، وبنفس مستوى الإبهار والجاذبية، ولكن بما لا يتعارض مع الضوابط الشرعية وهو التحدي الأكبر، ولكن مع التطور التكنولوجي وظهور مساحات أكثر حرية وأسهل في إنشاء المحتوى وبثه عبر الإنترنت، بل وأقل تكلفة، أصبحت هناك فرص أكبر أمام الإعلام الإسلامي للاشتباك مع القضايا الحديثة بشكل مؤثر، ولكن هنا يظهر تحدٍّ آخر؛ وهو القدرة على التفاعل عبر منصات الإعلام الجديد، والتأثير في جمهورها من الشباب ومتابعة تطوراتها المتسارعة.

وتضرب مثالاً بقضايا مثل إزالة مقابر الإمام الشافعي، وعدد من الآثار الإسلامية في مصر، وكيف تفاعل الشباب معها عبر «السوشيال ميديا»، وذهبوا يبحثون عن تاريخ هذه الآثار وفضائل ساكنيها من العلماء والحكام والمشايخ وغيرهم، ثم تحول التفاعل الافتراضي إلى واقع على الأرض عبر تنظيم زيارات جماعية لهذه الأماكن تأكيداً على أهميتها وتعبيراً عن رفض إزالتها، وكذلك قضية حي الشيخ جراح في فلسطين وكيف أصبحت محل اهتمام وتفاعل.

أما على مستوى التراث الفكري والفقهي، فهناك إشكالية «فوضى الخطاب» على منصات الإعلام الجديد، نعم هناك تفاعل وتدافع بين الخطاب الإعلامي الاجتماعي مثلاً الذي يسعى لهدم الأسرة وتحفيز الندية بين الزوجين ودعم الشذوذ الجنسي وغيره، والخطاب المناهض لذلك من منطلقات إسلامية، إلا أن غالباً ما يكون الخطاب الجاد غير جذاب، والخطاب الجذاب غير جاد وغير موثوق المصادر، ويتجدد هنا تحدي معادلة «الجاذبية، القيمة، المصداقية» لتحقيق التأثير المطلوب؛ وهو الأمر الذي على المتخصصين والممولين؛ أفراداً ومؤسسات، أن يبذلوا مزيداً من الجهد لتحقيقه.■

إعادة تأويل الحديث الشريف من منظور «نسوي»

كان اهتمام المشروع النسوي في مراحله الأولى منصباً على إعادة تأويل القرآن الكريم مع استبعاد الحديث الشريف بحجج وذرائع مختلفة، لكن الحديث لاقى مؤخراً اهتماماً متزايداً من النسويات اللواتي درسن دور الحديث في تشكيل وضعية النساء الاجتماعية، وكيف تم توظيفه لأجل تعزيز هيمنة الرجال داخل الأسرة وفي المجال العام.

في السطور التالية نعرض بإيجاز الجدل النسوي حول الحديث الشريف، وكيفية تأويل الحديث من منظور نسوي.

د. فاطمة حافظ

كان الاعتقاد السائد لدى الباحثات النسويات أن القرآن يمكن أن يشكل وحده الأساس الصلب الذي تستند إليه دعاوى المساواة والأفكار النسوية في المجتمعات الإسلامية، وعلى هذا انصبت جهود النسويات على مقاربة النص القرآني من منظور نسوي، تاركة الحديث -ومن ورائه الفقه- كما فعلت آمنة ودود، وأسما بارلاس، وغيرهما.

لكن الإعراض عن الحديث كان له أثر سلبي على المشروع النسوي وعلى فكرة المساواة التي يتم الترويج لها؛ لأن جل المسلمين ما زالوا ينظرون إلى الحديث بوصفه مرجعية ومصدراً ثانياً للتشريع، وهنا كان على النسويات العمل على إعادة تأويل الحديث جنباً إلى جنب مع القرآن، وضمن هذا السياق تفسر الباحثة النسوية عائشة تشاودري، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة كولومبيا الكندية، السياق الذي استبعد خلاله الحديث وأرجعته إلى ثلاثة عوامل، هي:

الأول: أن الاهتمام بالنص القرآني أمر بدهي، إذ لو استطاعت الباحثات البرهنة على أن الله سبحانه وتعالى من خلال كتابه يدعو للمساواة بين الجنسين فسيصبح لديهن أرضية صلبة للانطلاق نحو المصادر المرجعية الأخرى.

الثاني: يكمن في كون القرآن نصاً واضح المعالم ومحدداً من حيث الحجم في كتاب واحد، بينما السُّنة الحديثية تتألف من نصوص غير مكتملة الوضوح أو التبلور -كما تدعي- كما تقدر بآلاف الأحاديث التي تنتشر في عدد كبير من المؤلفات، وليس هذا فحسب، بل إن بنية الأحاديث ذاتها تثير تساؤلات حول مدى مصداقيتها، إذ إن اختلاف سلاسل الرواة وتعدد المرويات كل هذا يصير شكوكاً حول المنهجية التراثية في نقد وتمحيص الأحاديث، وحتى لو قبلنا بها فما مدى حجيتها؟ وهل يمكن أن تشكل مرجعاً يكافئ القرآن؟

الثالث: ظروف حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي عاش في القرن السابع الميلادي، وليس بوسعنا تحريره من السياق الذي عاش فيه، حيث ارتبطت كلماته وأفعاله ارتباطاً مباشراً بأحداث تاريخية تعكس السياق الذي عاش فيه وتحديه له في بعض الأحيان.

أفضت هذه العوامل إلى عزوف الباحثات عن تأويل الحديث، وهو ما يعد أمراً غير مفهوم؛ لأنهن يدعين أن الصورة النمطية للنساء في المجتمعات الإسلامية تكرست من خلال الحديث وليس القرآن، وعلى هذا فإننا يمكن أن نلحظ أن هناك مرحلتين في تعامل الباحثات مع الحديث:

الأولى: العزوف عن الحديث، ونجدها لدى الجيل الأول من النسويات المسلمات.

الثانية: وفيها نجد محاولات لتأويل الحديث الشريف، بل وتفكيكه عبر الطعن في منهجيات المحدثين، والزعم أن بعض الرواة والمحدثين كذبوا على الرسول صلى

الله عليه وسلم ونسبوا إليه أحاديث تعبر عن حقدهن على النساء، ويكمن ذلك التوجه في إدراك الباحثات أن تجنب الحديث لم يكن ذا فائدة؛ لأن جموع المسلمين في الشرق أو حتى الغرب يعتبرون أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله مرجعية، وعلى إثر ذلك ظهرت محاولات نسوية لتأويل الحديث، ومن أمثلتها محاولة فاطمة المرنيسي في كتابها «الحريم السياسي»، ومحاولة الباحثة الأمريكية من أصل باكستاني رفعت حسن التي يمكن التوقف أمامها باعتبارها نموذجاً لكيفية مقاربة الحديث من منظور نسوي.

الإعراض عن الحديث كان له أثر سلبي على المشروع النسوي وفكرة المساواة التي يتم الترويج لها

ادعاءات

تعتقد رفعت حسن أن فكرة عدم المساواة بين الرجال والنساء، وأن الرجال فوقهن بدرجة تنبع من ثلاثة ادعاءات دينية، هي:

الأول: أن الله تعالى خلق آدم أولاً وحواء بعده، حيث يعتقد أنها خلقت من ضلعه، وبالتالي هي مشتقة منه وتابعة له من الناحية الأنطولوجية (الوجودية).

الثاني: أن حواء أغرت آدم بالخروج من الجنة.

الثالث: أنها لم تخلق من الرجل، بل لأجله أيضاً، وهو ما يجعل وجودها مرتبطاً به، وليس مهماً في حد ذاته.

أفضى ذلك إلى تناول مسألة الحديث ودوره في تكريس فكرة دونية النساء عن كثب، وتنطلق في ذلك من فكرة أن هذه الأحاديث المتعلقة بالنساء إنما تعبر عن ثقافة القرن السابع والثامن، وأنها متأثرة إلى حد بعيد بالديانات السابقة والتقاليد العربية التي سادت شبه الجزيرة العربية وقت ظهور الإسلام، وحتى تبرهن على مدعاها تتوقف أمام الحديث الخاص بخلق المرأة من ضلع الرجل الذي تدعي أنه يقف وراء عدم المساواة بين الجنسين.

«رفعت» تعتقد أن فكرة عدم المساواة بين الرجال والنساء تنبع من ثلاثة ادعاءات دينية

تحصي رفعت ست روايات للحديث الشريف وردت في البخاري، ومسلم، وتقف إزاء هذه الروايات موقف النقد، ويتوجه نقدها إلى كل من السند والمتن، وأما السند فتقدم ثلاث ملاحظات نقدية بشأنه:

أولها: أن الروايات الست يرويها عن النبي راوٍ واحد هو أبو هريرة، وأن الحديث برواياته يوضع في فئة الغريب.

ثانيتها: أن الحديث برواياته يدخل في قسم «المعنعن»، حيث إن سلسلة رواته منقطعة وغير متصلة، وهو بهذا يصنف ضمن الحديث الضعيف.

ثالثتها: أن أحد رجال السند هو عبدالعزيز بن عبدالله، وهو موضع خلاف بين المحدثين، البعض يرى أنه ثقة والبعض الآخر يعتقد أنه ليس ثقة، والأمر نفسه ينطبق على حرملة بن يحيى الذي ورد في رواية الإمام مسلم.

وبناء على هذا، تخلص إلى أن الحديث لا يمكن أن يكون من صحيح الحديث لضعف رواته، ولأن علماء الحديث يقرون أن الأحاديث التي يرويها أبو هريرة ليست جميعاً منقولة عنه.

وأما متن الحديث في جميع رواياته فهو يصادم القرآن ويذهب مذهباً معارضاً له، فالقرآن يبين أن آدم وزوجه خُلقا «من نفس واحدة»، ويشير إلى أن الله خلق الإنسان «في أحسن تقويم»، وعليه فإن هذا الحديث لا يمكن أن يكون صحيحاً، وإنما هو مستوحى من التوراة ومن سفر التكوين على وجه التحديد.

وبالنظر في هذه المقاربة التي تعد نموذجاً للمقاربات النسوية للحديث، يمكن أن نقدم بعض الملاحظات بشأنها:

الأولى: أنها تعد مقاربات جزئية وليست شمولية؛ بمعنى أنها تنتزع حديثاً أو بضعة أحاديث على أحسن الفروض وتقوم بمناقشتها بعيداً عن المدونة الحديثية، ودون دراسة علاقتها بغيرها من الأحاديث، ويؤدي هذا إلى إشكاليات عدة من بينها كيف يمكن تفسير وجود الأحاديث التي تنصف النساء إذا كان الحديث بأسره مكذوباً؟ ولماذا لا يتم توظيفها من قبل الباحثات؟

الثانية: أنها مقاربات تتبنى فكرة التاريخانية وتنطلق منها في التعاطي مع النصوص الدينية، ومن ثم تعتقد أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلح إلا للقرن السابع أو الثامن على أقصى تقدير.

الثالثة: أن ما تقدمه من نقد للحديث لا يعدو كونه نقداً ظاهرياً هشاً، لا يطال البنية الحديثية، وغايته الطعن في هذا الراوي أو ذاك، والادعاء بوجود تعارض بين القرآن والحديث، دون تقديم أدلة على ذلك.■

المغرب.. جهود الحركة الإسلامية في حماية التراث الإسلامي

بذلت الحركة الإسلامية في المغرب جهوداً مقدرة في حماية التراث الإسلامي والتصدي للهجوم الذي يتعرض عليها، كما يُجمع خبراء، في حديث لـ«المجتمع»، لكن في الوقت ذاته ينظرون إلى تلك الجهود بنظرة نقدية بخصوص جوانب أخرى.

الرباط – عبدالغني بلوط:

في البداية، يقول المفكر المغربي **محمد يتيم**، وهو وزير سابق ورئيس سابق لحركة التوحيد والإصلاح: إن هذا التراث يمكن أن نميز فيه بين أصوله ومرجعياته الأساسية، ونقصد بذلك الوحي المنزَّل من الله تعالى والسُّنة النبوية.

ويدخل في التراث أيضاً حصيلة ما نتج من فهم وأفكار وإنتاج معرفي، بل وتقاليد اجتماعية في ظل مجتمعات إسلامية، وما يصطلح عليه أيضاً بالثقافة الإسلامية وكل أشكال التعبيرات الأدبية والمعرفية والعادات والتقاليد ولغات الشعوب الإسلامية، والتغييرات المعمارية والتقاليد التي أنتجتها في احتفائها بالمناسبات الدينية والاجتماعية.

وتبعاً لذلك، يضيف يتيم، يشمل التراث ما هو ثابت، وفيه ما هو متغير، وفي هذا المتغير هناك ما هو متطابق مع أصول الإسلام من كتاب وسُنة وغيرها من أصول التشريع كما هي معرفة عند الأصوليين، وفيه ما هو تعبير عن موروثات ثقافية تجد أصلها في مرحلة سابقة على اعتناق هذا الشعب أو ذاك، وتدخل أيضاً في العلوم الإسلامية المختلفة والمعمار والفنون.

بدوره، يميز الأكاديمي المغربي **إمحمد الهلالي** بين التراث ببعد مادي وآخر ببعد لا مادي، مبرزاً أن هناك فرقاً بين حماية هذا التراث والمحافظة عليه بمنع وصول ما يمكن أن يتلفه أو يبدده، لكن فعل الحماية يتضمن إلى جانب أفعال المحافظة ما يضمن استدامة هذا التراث وأداءه لأدواره وتواصل فاعليته في الحياة.

دور إيجابي

وقد نجحت الحركة الإسلامية، إلى حد كبير، في المحافظة على بقاء التراث حاضراً في وعي الأمة، وفي السياسات والبرامج العمومية، وساهمت بشكل أكبر في إخراج نفائس تراثية ذات قيمة عالية مما أنتجته الأمة من معارف في مختلف مجالات العلوم الدينية والدنيوية، بحسب الهلالي.

فيما يشير محمد يتيم إلى أن الحركات الإسلامية كان لها دور كبير في تجديد التراث الإسلامي؛ بمعنى تقديم فهم وممارسة إحيائية، وأيضاً في التدافع حماية له من الهجوم عليه.

ومن الأمثلة التي يمكن تقديمها في هذا الشأن ما سمي بـ«الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية»، التي أعدها وزير شيوعي فيما يسمى بـ«حكومة التناوب»؛ حكومة عبدالرحمن اليوسفي بقيادة حزب الاتحاد الاشتراكي، وهي خطة كانت تهدف إلى تنزيل توصيات مؤتمر بكين التي تقوم على فلسفة «الجندر» (النوع) الذي يبدو في ظاهره فكرة تسعى إلى التمييز الإيجابي لفائدة المرأة بسبب ما لحق بها من تمييز وظلم وحيف أهدر حقوقها وكرامتها، ولكن في جوهرها تنتهي إلى إلغاء الفوارق الفطرية بين الجنسين، وهي فوارق وظيفيـــة تنتهي عند التأمل لإقرار التكامـــل بينهما في إطار

يتيم: الحركات الإسلامية كان لها دور كبير في تجديد التراث الإسلامي.. ولكنها أهملت جوانب مهمة منه

نظام الأسرة.

ويبرز يتيم أن هذه معركة فكرية وثقافية وإعلامية وسياسية، وقد حسمت مسيرة مليونية القضية لصالح الأسرة والقيم الإسلامية الحاكمة لها.

ومن القضايا الكبرى التي خاض فيها ممثلون عن الحركة الإسلامية وغيرهم من الشخصيات الوطنية الأصيلة قضايا تتعلق بإصلاح النظام التعليمي، حيث عرفت لجان إصلاح التعليم أو المجلس الأعلى للتعليم بعد ذلك حضوراً قوياً لممثلي الحركة الإسلامية وتصديها لكل المحاولات التي تحاول «علمنة» التعليم.

الشيء نفسه حدث حول التدافع داخل المؤسسة التشريعية سواء من خلال سن قوانين تسير في خدمة الصالح العام وتحتكم إلى توجهات دستور عام ٢٠١١م الذي أكد المرجعية الإسلامية ومكانتها في التشريع وفي تدبير الشأن العام.

وفي مجال المحافظة على المعمار الثقافي، أسهم مهندسون مغاربة يحملون الفكرة الإسلامية الحضارية في المحافظة على التراث المعماري لبعض المدن، ومنها على سبيل المثال مدينة فاس، ولا ننسى عبد اللطيف الحجامي، رحمه الله، الذي يعتبر رائداً معمارياً من رواد نهضة أمتنا.

نقائص

لكن، في المقابل، الحركة الإسلامية أهملت جوانب مهمة من التراث، وفي هذا الصدد يبرز محمد يتيم أن بعض التعبيرات الحركية الإسلامية كانت تتكلم مع التراث بمنهج القطيعة أو مسح الطاولة لكل الموروث، إلى درجة أن بعضها كاد أن يمسح الجزء الأكبر من التاريخ الإسلامي، على اعتبار أن المرحلة الإسلامية الحقيقية هي فترة الخلافة الراشدة فحسب، وكاد البعض أن يخرج من الحضارة الإسلامية عدة حقب وتجارب، وهو نهج فيه من الغلو ما فيه؛ إذ إن الإسلام حضارة وثقافة وتاريخ وحركات إصلاح وبعث متجدد، كما أن فيه مراحل ضعف وعدم تحضر.

ويضيف يتيم أن الإسلام أيضاً عطاء جهادي مقاوم للغزو، وتراث علمي وفكري ومعماري، يعبر عن الشخصية الإسلامية وتفاعلها من منطلق مرجعيتها ورؤيتها للكون مع عدد من الأحداث والوقائع والتطورات، كما أنه دعوة وفكرة ومنظومة عقدية وأخلاقية أعادت صياغة الشخصية الثقافية لشعوب بكاملها.

لكن، وللأسف، شنت بعض فصائل من الحركة الإسلامية حرباً على عدد من التعبيرات الإسلامية حرب إبادة، بدل أن تعمل على استيعابها وترشيدها، على عدد من التقاليد في المجتمعات الإسلامية، وكذلك على بعض التقاليد التي كانت سائدة لدى شعوب قبل دخولها الإسلام، كما يلاحظ محمد يتيم.

بدوره، يرى الهلالي أن ثمة مجالات من التراث، وخاصة التراث اللامادي الثقافي والعمراني، لم تعره الحركة الإسلامية الاهتمام اللازم، بل يمكن أن نقول: إنها

الهلالي: بوادر صحوة جديدة في الأجيال الحالية تدعو إلى التصالح مع الفنون وأساليب الحياة

ارتكبت في حقه أخطاء فادحة عندما سعت إلى تنميط أساليب الحياة ومناهج العيش بدعوى احترام السُّنة، خاصة من الملبس والمأكل والفنون، وحتى في مجال التدين؛ إذ قضت على خصوصيات دينية وتعبدية باسم اللامذهبية أو اتباع السُّنة على فهم مدرسة واحدة.

دعوة مصالحة

وفي خلاصة، يبرز الهلالي أن الحركة الإسلامية إلى حدود نهاية القرن الماضي قد قدمت خدمة كبيرة للتراث في بعده المعرفي، لكنها أهملت كثيراً التراث اللامادي، خاصة في بُعده الثقافي والرمزي والعمراني، وارتكبت أخطاء جسيمة فيما يخص التراث الفني والأدبي والغنائي.

لكن يعود ليقول: إنه وابتداء من مطلع الألفية يمكن القول: إن بوادر صحوة جديدة قد ظهرت في صفوف الأجيال الجديدة من الإسلاميين، وهي صحوة تدعو إلى التصالح مع الفنون ومع أساليب الحياة وأنماط العيش كما تكرست وتراكمت عبر قرون، سواء في طريقة العيش أو في السلوكيات والممارسات واللباس وفي المناسبات وفي والآداب والمعاملات اليومية، والأهم في مظاهر التدين وفي الأعراس والمآتم ولغات التخاطب في التهاني والتعازي والمواساة.

وفي السياق ذاته، يدعو محمد يتيم الحركات ومفكريها لإعادة التصالح مع هذا الموروث الثقافي الإسلامي ومع التدين الاجتماعي وربط الصلة به وترشيده، وعدم الاصطدام مع التقاليد الموروثة والتدين الشعبي، بل العمل على ترشيده وربطه بأصوله لتصحيحه بالتي هي أحسن، والعمل على التوعية والإرشاد لإصلاح ما اعوج فيه من الفهم أو الممارسة.■

دمار شامل لم تشهده خلال 14 قرناً وسط تساؤل المصريين:

لماذا يهدمون القاهرة التاريخية؟!

«إن القاهرة التاريخية تتعرض لتدمير شامل لم تشهده خلال ١٤ قرناً، ولا خلال أي من فترات الاحتلال الأجنبي»، بهذه الكلمات وأمثالها عبر أثريون ومعماريون ونخب مصرية وأحزاب في بيانات عدة، منذ مطلع سبتمبر الماضي، عن رفض قطاع واسع من المصريين ما يحدث في آثار القاهرة الإسلامية، التي يطلق عليها «القاهرة التاريخية»، من تخريب وعبث، رغم أنها أحد مواقع التراث العالمي، بحسب «اليونسكو» منذ عام ١٩٧٩م.

القاهرة- حسن القباني:

أكد شيخ الأزهر الإمام الأكبر د. أحمد الطيب، في بيان مقتضب، حول مسألة هدم المناطق الأثرية بالقاهرة الإسلامية القديمة، أهمية الحفاظ على المساجد التاريخية والمعالم التراثية باعتبارها جزءاً من الهوية المصرية والحضارة الإنسانية.

وبدأت عمليات الهدم والإزالة في يوليو ٢٠٢٠م، وتجددت في أغسطس الماضي، وشملت منطقة «القرافة» الشهيرة والمعروفة بـ«مقابر المماليك»، و«السيدة نفيسة»، و«الإمام الشافعي»، و«السيدة عائشة»، التي تضم آلاف الآثار الإسلامية ومقابر تضم رفات شخصيات إسلامية وتاريخية وثقافية، منها مقبرة الإمام وَرْش، صاحب رواية «ورش عن نافع» لقراءة القرآن.

في هذا السياق، أوضح كبير الأثريين بوزارة السياحة والآثار المؤرخ د. **مجدي شاكر**، في حديث لـ«المجتمع»، أن هناك ٣ قوانين تحكم منطقة القاهرة التاريخية، وهي قانون (١١٧) لسنة ١٩٨٣م الخاصة بالآثار، وقانون (١٤٢) لسنة ٢٠٠٦م بشأن المحليات والمباني الآيلة للسقوط، وقانون (١١٩) لسنة ٢٠٠٨م بشأن التنسيق الحضاري؛ ما جعل آثار وشواهد المنطقة «دمها مفرّق»، بحسب وصفه، بين المؤسسات الحكومية؛ ما يستدعي إصدار تشريع جديد جامع.

وأضاف شاكر أن أعمال الإزالة والهدم التي تتم اعتدت على حق اللجنة المشكَّلة من رئيس الجمهورية لتقييم الموقف في القاهرة التاريخية؛ ما جعل هناك رفضاً واسعاً بين الأثريين والمختصين لما يحدث، مع علامات استفهام وتعجب من قدرة البعض على تجاوز اللجنة الرئاسية!

وأشار إلى أن النظرة الاقتصادية لتلك المنطقة التاريخية بآثارها الإسلامية وشواهدها ومقابرها تجعلها ذات عائد اقتصادي مميز للبلد في وقت هي تحتاج فيه كل نقد أجنبي، وبالتالي يجب وقف المخطط الجاري بأقصى سرعة وتشكيل لجنة لتطوير المنطقة وتهيئتها لتكون منطقة جذب سياحي ديني.

مشروع «القاهرة ٢٠٥٠»

من جانبه، رأى المعماري والباحث العمراني **إبراهيم عز الدين**، في حديث لـ«المجتمع»، أن مشروع «القاهرة ٢٠٥٠» هو الدافع الرئيس وراء كل الإزالات التي تحدث

استقالة و٤ انسحابات واحتجاجات وملاحقات قضائية

د. شاكر: هناك علامات استفهام حول ما يحدث من هدم

عز الدين: مشروع «القاهرة ٢٠٥٠» سبب الأزمة الراهنة

د. دقيل: أقترح إنشاء متحف مفتوح.. والملاحقة القضائية

في القاهرة التاريخية بغية تحويلها إلى مدينة أعمال، موضحاً أن ذلك مخطط قديم من عهد الرئيس الراحل حسني مبارك، وكان وراءه الهيئة العامة للتخطيط العمراني التي كان يرأسها في ذاك الوقت د. مصطفى مدبولي، رئيس الوزراء المصري الحالي، وهو الأمر الذي يفسر دفاع الحكومة عن المشروع بقوة.

وأشار عز الدين إلى أن هذا المخطط لم يقم بوضع آلية للتعامل مع طُرزها المعمارية التي تعود إلى واحد من أهم العصور العمرانية والمعمارية؛ وهو العصر المملوكي، إنما اكتفى المخطط بنصه على نقل مقابر القاهرة؛ أمواتاً وأحياء ومباني، إلى أطراف المدينة، وتخطيط حدائق ومساحات خضراء مكانها.

وحول سبل الحل، طالب عز الدين بوقف ما يحدث، والاستفادة من التجارب الدولية مثل مقبرة حديقة «هامبورج» الخاصة، حيث تم استغلال هذه المقبرة عبر جعلها حديقة كبيرة للتنزه والاستجمام ومكاناً للتأمل والتفكير، وهو ما يمكن تكراره بمصر؛ الأمر من شأنه أن يفيد ملف السياحة.

كما طالب عز الدين، كذلك، بالعمل على ترميم المقابر المنهارة وإعادتها لطرازها المعماري الذي كانت عليه، وترميم الخطوط العربية والنقوش والزخارف اليدوية الموجودة على شواهد القبور، وتوثيق هذه المعالم في قوائم التراث.

وأكد الأكاديمي المتخصص في الآثار **د. حسين دقيل**، في حديثه لـ«المجتمع»، أن استمرار الهدم والعبث بمنطقة القاهرة التاريخية مخالف للدستور الذي يجبر الدولة على حماية آثارها، ويحظر المساس بها.

واقترح دقيل لجوء المختصين إلى القضاء والتظلم القانوني لوقف الهدم، بالتوازي مع عقد لجان مختصة لدراسة إنشاء متحف مفتوح في ذات المكان بعد عمليات ترميم بسيطة، واستمرار التوثيق الفردي الذي قام به فنانون في الأيام الأخيرة.

ويدعو الأكاديمي المتخصص في الآثار إلى إنشاء متحف يسمى «متحف القرافة»، يحتوي على كل النقوش والشواهد واللوحات الرخامية وغيرها، مع معارض مصورة ومرئية لما يميز المكان، كي يستمر الوعي، مطالباً باستمرار عمل المبادرات الأثرية في الحفاظ على التراث هناك لحين عمل المتحف.

حراك لا يتوقف

ميدانياً، تقدم **د. أيمن ونس**، أستاذ التصميم العمراني والبيئي رئيس اللجنة الدائمة لحصر المباني والمنشآت ذات الطراز المعماري المتميز، باستقالة مسببة احتجاجاً على ما يحدث، قبل أن يعلقها لما قال: إنه «استغلال سياسي من المعارضين لنصها»، كما انسحب من ذات اللجنة ٤ أعضاء، وأصدرت عدة جهات بيانات رافضة لما يحدث من هدم، أبرزها جمعية المعماريين المصريين.

وكشفت مؤسسة حرية الفكر والتعبير (مؤسسة حقوقية مستقلة) عن تبنيها المسار القضائي، حيث تقدمت بدعوى قضائية لوقف ما يحدث من هدم إلى القضاء الإداري، كما تقدمت ببلاغ للنائب العام ضد المسؤولين المتورطين وللمطالبة بفرض الحراسة اللازمة على الآثار.

وأعلنت مؤسسة شواهد مصر الأثرية عن مبادرة «توثيق وإنقاذ الآثار غير المسجلة» في المنطقة؛ بغرض حصر الآثار غير المسجلة التي تعرضت للسرقة، مؤكدة، في بيان لها، أن هناك سرقات جنونية منتشرة في قرافات القاهرة التاريخية.■

الإجابة للشيخ عبدالعزيز بن باز يرحمه الله

العناية بالتراث الإسلامي

إعداد- د. أحمد ناجي:

• ما المراد بالتراث الإسلامي وما حكم الاعتناء به؟

- لا شك أن التراث الإسلامي أمره مهم والعناية به واجبة، وعلى رأس هذا التراث كتاب الله عز وجل، وسُنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فهما أعظم تراث وأفضل تراث وأنفع تراث، وهما أصل دين الإسلام وأساسه، خلفهما لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: ٣٢)، وعلى رأس المصطفين رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم صحابته الكرام، ثم مَنْ تبعهم بإحسان.

فكتاب الله فيه الهدى والنور، وهو أعظم التراث وأفضل التراث وأصدقه، فيه الهدى والنور، فيه الدلالة على كل خير والتحذير من كل شر، فيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والتحذير من سيئ الأخلاق وسيئ الأعمال.

فالاعتصام بكتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم السبيل الوحيد للنجاة، وهو الصراط المستقيم، فالواجب على أهل الإسلام أن يعتصموا بهذا الكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة، وذلك فرض على جميع المكلفين من الجن والإنس، من العرب والعجم، من الذكور والإناث، والأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين، فرض عليهم جميعاً أن يدخلوا في دين الله، وهو الإسلام، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾(البقرة: ٢١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾(النساء: ١)، فرض عليهم أن يدخلوا في دين الله، وأن يعتصموا بكتابه وهو القرآن، وبسُنة الرسول الصحيحة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام، وليس لهم أن يحيدوا عن ذلك.

فالواجب على اليهود والنصارى وعلى جميع المشركين وعلى جميع أصناف الكفرة، الواجب على الجميع أن يدخلوا في دين الله، وأن يلتزموا به، وهذا هو التراث الذي فيه سعادتهم إذا عقلوا.

وهذا التراث هو أعظم تراث، ولا نجاة للعالم ولا سعادة للعالم إلا بحفظ هذا التراث والتفقه فيه، والاستقامة عليه، والدعوة إليه علماً وعملاً وعقيدة، خلقاً وسيرة.

فكتاب الله فيه الهدى والنور، وفي سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما قد يخفى، مع بيان أحكام جاءت بها السُّنَّة لم تُذكر في كتاب الله تعالى، وأحكام فصلتها السُّنَّة لم تُفصل في كتاب الله، قال تعالى:

المقصود من التراث ما بُعث به نبينا من الهدى ودين الحق والكتب التي أُلِّفت في ذلك مما ينفعنا

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤) وقال جل وعلا: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤).

فالله تعالى أنزل الكتاب عليه تبياناً لكل شيء، وأمره سبحانه أن يبين للناس وأن يشرح لهم ما قد يخفى عليهم، وأن يوضح لهم ما قد يختلفون فيه، حتى يرجعوا إلى الصواب، وحتى يستقيموا على الهدى، وقد بلَّغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام، وأدى الأمانة ونصح الأمة، حتى قال لهم يوم عرفة بعدما خطبهم وبيَّن لهم ما يجب عليهم في حجهم: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»، قالوا: نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه إلى السماء فقال: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

فعلى الجميع أن يُعظموا هذا التراث العظيم، وأن يحببوه إلى الناس ويذكروهم بهذا التراث ويتمسكوا به ويعضوا عليه بالنواجذ، ويعملوا به مع سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها الوحي الثاني الموضح لكتاب الله تعالى، والدال على أحكام أخرى أوحاها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام.

وهذا التراث العظيم؛ كتاب الله عز وجل، وسُنة رسوله عليه الصلاة والسلام؛ هما أعظم التراث، وهما أهم التراث،

والواجب العناية بهما، والوصية بهما والتمسك بهما قولاً وعملاً وعقيدة، في السر والجهر، في الشدة والرخاء، في الصحة والمرض، في السفر والإقامة، من الذكور والإناث، من العرب والعجم، من الجن والإنس، من الحكام والمحكومين، من الأغنياء والفقراء، على هؤلاء جميعاً أن يعملوا بهذا القرآن وسُنة رسول الله المطهرة، وأن يحفظوا هذا التراث حفظاً يتضمن العمل والنصيحة، والدعوة إلى هذا التراث والاستقامة على معناه، والحرص على تبليغه لجميع العالم.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، ويقول عز وجل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، ويقول جلّ وعلا: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(يوسف: ١٠٨)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، ويقول: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

فسيرته صلى الله عليه وسلم وأقواله وأعماله وتقريراته كلها من التراث وكلها من السُّنَّة، فالواجب العناية بذلك والحرص على كتب السُّنَّة، فكتب السُّنَّة من أعظم التراث، وإن السُّنَّة التي جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله وعمله وتقريراته وغزواته وغير ذلك يجب على أهل الإسلام والعلماء على الوجه الأخص والحكام وطلبة العلم العناية بها تفسيراً، ومن ذلك الكتب الإسلامية المشتملة على تفسير كتاب الله وبيان معناه، والمشتملة على أحاديث الرسول وسيرته ومغازيه وغير ذلك؛ كالصحيحين والسنن الأربع وموطأ مالك ومسند أحمد وكتب الحديث، فإنها أعظم التراث وأفضل التراث وأهم التراث بعد كتاب الله، وإنها الحافظة للسُّنَّة والمبلغة لها، وهي الوحي الثاني، فالواجب على أهل الإسلام العناية بها وبأصولها ومخطوطاتها الصحيحة؛ لأنها مرجع يرجع إليها عند الحاجة، وعند الاختلاف.

ومن أعظم العناية بالتراث العناية بالمخطوطات الحديثية والمخطوطات التفسيرية والمخطوطات الفقهية لأئمة الإسلام المعروفين المحتج بهم والمعمول بأقوالهم، فالعناية بها من أهم العناية، وهكذا كتب اللغة العربية وقواعدها، وكتب التاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، كلها تجب العناية بها حتى تُنقل سليمة صافية، سليمة من عبث العابثين وكذب الكذابين، وقد عني علماء الإسلام بذلك، وبينوا ما أدخله الكذَّابون في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وما وضعه الواضعون من الكتب الباطلة، فقد عني أهل العلم بذلك.

فعلينا أيضاً أن نسير على نهجهم، وعلينا أن نهتم بهذا التراث العظيم ونبين الحق من الباطل ونبين الصالح من الزائف، ونحرص على العناية بالكتب السليمة المفيدة من كتب الحديث والتفسير والفقه الإسلامي والقواعد العربية وغيرها من الكتب النافعة، حتى الكتب الأخرى التي تنفع المسلمين في أمور دنياهم والمتلقاة عن أهل الثقة والبصيرة في شؤونهم؛ لأن الناس في حاجة إلى أن يعرفوا شؤون دنياهم ويستعينوا بها على طاعة الله تعالى، وكل شيء ينفع المسلمين ويعينهم على حفظ دينهم وحفظ كتاب ربهم وسُنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، ويعينهم على الإعداد للأعداء؛ فهو مهم، ومن التراث الذي يجب أن يُحفظ ويُعتنى به، والله يقول سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

واجب على المسلمين الاعتصام بالكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة وذلك فرض على جميع المكلفين

فالكتب التي ألَّفها الأقدمون من المسلمين، أو ألفها غير المسلمين وتنفع المسلمين وتعينهم على الإعداد للعدو، وهي في شتى العلوم الدنيوية يعتنى بها أيضاً، إن كانت تنفع المسلمين وتعينهم على إعداد القوة والاجتهاد فيما ينفعهم في دينهم ويقوي جندهم وجهادهم ضد عدوهم.

يجب أن يُعرف التراث الإسلامي، وأنه ما ثبت بكتاب الله، أو سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما شرعه الله لعباده، أو أجمع عليه المسلمون، هذا هو التراث الإسلامي، أما ما ابتدعه المبتدعون وأحدثه المحدثون من عبادات أو أماكن تُعظم، أو أشجار وغير ذلك، فهذه لا يجوز أن تُنسب إلى الإسلام ويقال: إنها تراث إسلامي.

والخلاصة أن المقصود من التراث الإسلامي هو ما بُعث به نبينا عليه الصلاة والسلام من الهدى ودين الحق، والكتب التي ألفت في ذلك مما ينفعنا والمخطوطات الموجودة في ذلك، وهكذا كل ما نريده ونأخذ به ونستعين به على طاعة الله وعلى الإعداد لأعداء الله.■

العنصرية.. خطر على تركيا ومن يعيشون فيها

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

ركزت حادثة الاعتداء العنصري على سائح كويتي في مدينة طرابزون التركية، في سبتمبر الماضي، الأنظار على ظاهرة الكراهية والعنصرية ضد الأجانب، وخصوصاً العرب، المتزايدة في الآونة الأخيرة، والأخطار التي تشكلها، ويمكن أن تشكلها مستقبلاً على الجميع.

العنصرية وكراهية الآخر، ولا سيما الأجنبي، ظاهرة عالمية، وتركيا ليست بدعاً من الدول في هذا الإطار، فلدى الشعب التركي اعتزاز كبير بقوميته، إلا أن ذلك ليس سبباً كافياً للظاهرة ولا إطاراً وافياً لتفسيرها.

في تركيا والعالم، تقف أسباب عديدة خلف تنامي ظاهرة اليمين المتطرف الشعبوي ومنه العنصري، وفي مقدمتها الأزمات، وفي الخصوصية التركية وفد السوريون وباقي الأجانب على تركيا منذ عام ٢٠١١م وبأعداد كبيرة، ورغم الخلاف الداخلي بخصوص الأزمة السورية، فإن ذلك لم يؤد قبل اليوم لما رصدناه مؤخراً من مظاهر كراهية وتحريض وعنصرية.

لقد مثلت الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وخصوصاً تصاعد نسبة التضخم وغلاء الأسعار وضعف القوة الشرائية، دافعاً رئيساً للتذمر من الأجانب، ولا سيما اللاجئين السوريين؛ بعدِّهم جزءاً من أسباب هذه الأوضاع، من باب فرص العمل والتنافسية، وما يُدّعى أنها أموال يحصلون عليها من الحكومة التركية على حساب المواطنين.

كما كان للاستقطاب السياسي الذي تعمق في السنوات القليلة الأخيرة وتحول جزئياً للمجتمع دور بارز في ذلك، لا سيما وأن الملف السوري عموماً أحد أهم معالم الخلاف بين الحزب الحاكم والمعارضة في السياسة الخارجية.

إلا أن نقطة التحول الكبرى كانت تبني بعض أحزاب المعارضة برنامجاً سياسياً مركزاً على ملف اللاجئين، وتحديداً السوريين منهم، وخصوصاً حزب الشعب الجمهوري الذي أعلن عن نيته «إعادة جميع السوريين إلى بلادهم خلال سنتين»، ومع قرب الانتخابات الرئاسية والتشريعية، تحول هذا الموقف إلى وعد، بل إلى برنامج انتخابي للحزب وأحزاب أخرى أقل قوة وحضوراً.

ثم تأسس حزب النصر المعادي للاجئين برئاسة القيادي القومي المتطرف «أوميت أوزداغ»، الذي جعل اللاجئين الملف الوحيد تقريباً الذي يهتم به حزبه، واضعاً الأجانب عموماً في إطار المهدد الإستراتيجي للبلاد اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً، وقد تعمق الأمر أكثر قبل جولة الإعادة للانتخابات الرئاسية، التي حصل فيها تفاوض بين المتنافسَيْن والمرشح الثالث القومي «سينان أوغان»، مقدمين وعوداً متعلقة باللاجئين، إضافة لتحالف مرشح المعارضة مع «أوزداغ» ورفع سقفه بخصوص السوريين وجعلهم شعاراً رئيساً لحملته الانتخابية.

وهكذا، سريعاً، تدرجت الحالة من مرحلة الخطاب المعترض على سياسة الحكومة بخصوص اللاجئين، إلى التحريض عليهم، ثم إلى التعرض لهم وخصوصاً السوريين منهم، ثم إلى خطاب كراهية ضد الأجانب عموماً والعرب على وجه الخصوص، وصولاً للاعتداء الجسدي على بعض السياح.

وقد شكلت وفاة سائح مغربي بعد ضربه ثم الاعتداء على سائح كويتي في مدينة طرابزون مؤشراً على خطورة التطورات ودقت ناقوس الخطر لدى الحكومة التركية.

أخطار على الجميع

إثر الاعتداء على السائح الكويتي، في سبتمبر، ولا سيما بعد التحرك الفاعل لجهات كويتية مثل وزارة الخارجية ومجلس

الأوضاع الاقتصادية الصعبة مثلت دافعاً رئيساً للتذمر من الأجانب

.. وتبني بعض أحزاب المعارضة برنامجاً سياسياً مركزاً على ملف اللاجئين

الأمة، تحركت الحكومة التركية على عدة مستويات لمتابعة الحادث وتبعاته، بدءاً من والي المدينة مروراً بالجهات الأمنية والسياسية، وليس انتهاء بالسفيرة التركية في الكويت، الذين أكدوا جميعاً رفض ما حصل وضرورة حماية ضيوف البلاد، كما أعلن وزير العدل التركي «يلماظ تونج» عن سعي الحكومة لحزمة من القوانين التي ترفع من عقوبة الكراهية والعنصرية.

قبل ذلك بأيام، كان الرئيس التركي قد أعلن عن أن حكومته «لن تسمح بتفشي الكراهية والعنصرية»، أو «النكوص عن الخصال الحميدة للشعب التركي» الذي طالما استضاف لاجئين وغيرهم، وبعدها بأيام بدأت وزارة الداخلية حملة توقيفات لأصحاب حسابات رائجة على وسائل التواصل معروفة بالتحريض ضد الأجانب.

مقاطعة السياحة

هذا التحرك التركي الرسمي نابع من استشعار الخطر الذي تشكله هذه الظاهرة، أولاً على الأجانب المقيمين على الأراضي التركية والزائرين لها، وثانياً على تركيا من زاوية السلم الأهلي والأمن المجتمعي، وكذلك من زاوية السياحة والاقتصاد، لا سيما أن الاعتداء على السياح وُجوه ببعض الدعوات لمقاطعة السياحة في تركيا على وسائل التواصل، فضلاً عن أهمية دول الخليج العربي في مجال السياحة والاستثمار في المرحلة الصعبة التي يمر بها الاقتصاد التركي، وسعي الحكومة لجلب الاستثمارات الخليجية على وجه الخصوص.

قوبلت التحركات الحكومة التركية

العنصرية ضد الأجانب وصلت لمستويات غير مسبوقة حتى الاعتداء المباشر

ثمة حاجة للعمل على الوعي لمواجهة سردية التيارات المتطرفة والعنصرية

بالاستحسان؛ إذ وجهت رسالة واضحة بعدم الرضا عما حصل والعزم على مكافحته، ورغم ذلك تبقى تلك خطوات محدودة التأثير في مواجهة ظاهرة مركبة ومعقدة وآخذة بالتنامي مثل العنصرية، ذلك أن موجة الكراهية والعنصرية لها عدة أوجه متداخلة، منها ما يتعلق بالثقافة، ومنها ما يرتبط بخطاب التحريض، ومنها ما يتصل بالاعتداءات المباشرة ولا سيما الجسدية.

التدخل الحكومي

وعليه، فإن التدخل الحكومي بعد أي حادث يحمل الصبغة العنصرية ضروري ومفيد وواجب، ولكنه ليس كافياً، إذ تحتاج الحكومة أن تعمل على عدة مستويات لمواجهة المجالات سالفة الذكر؛ فثمة حاجة للعمل على مجال الوعي، بمواجهة سردية التيارات المتطرفة والعنصرية وتفنيد مزاعمها وتكذيب الشائعات المتعلقة بالأجانب من خلال المعلومات والأرقام والإحصاءات، وعلى الخطاب الحكومي من جهة، والإعلام من جهة أخرى، أن يمارسا دوراً رئيساً وبنّاءً في هذا الإطار.

كما هناك ضرورة ملموسة لسن قوانين رادعة بخصوص ظاهرة الكراهية والعنصرية، ترفع من مستوى العقوبات المتعلقة بهذه الجرائم من جهة، ولا تكتفي بالاعتداءات المباشرة منها، ولكن تجرّم أيضاً الخطاب التحريضي والتأجيجي ضدهم، وعلى الحكومة أن تشدد الأيدي في متابعة وملاحقة ومحاسبة المعتدين على الأجانب بمختلف فئاتهم، تحريضاً وفعلاً مباشراً.

أخيراً، تبقى هناك ٣ ملحوظات مهمة

وفد أمني تركي يزور سائحاً كويتياً تعرض لاعتداء ويطمئن عليه

في السياق؛ الأولى: أن مواجهة هذه الظاهرة ستحتاج استمرارية ونفَساً طويلاً، فتحجيم ظاهرة خطيرة من هذا النوع تفاقمت عبر السنين لن تكون ممكنة خلال أيام أو أسابيع، والثانية: أن الخطاب الحكومي ينبغي أن يكون أكثر اعتدالاً وحذراً حين يقارب مسائل مشابهة أو ملتبسة مثل مكافحة الهجرة غير النظامية للبلاد، بحيث لا يتخذها العنصريون ذريعة للتحريض والاعتداء.

وأخيراً؛ كانت الانتخابات الرئاسية والتشريعية، في مايو الماضي، محطة مهمة في تأجيج الخطاب المعادي للاجئين والأجانب عموماً في تركيا؛ بسبب تبني ملف اللاجئين ضمن الأجندة الانتخابية وسخونة الحملات وحدّة الاستقطاب؛ ولذلك هناك تخوف كبير من أن تحمل الانتخابات المحلية القادمة المتوقع تنظيمها نهاية مارس المقبل أخباراً سيئة على هذا الصعيد، خصوصاً وأن بعض الأحزاب، وفي مقدمتها حزب النصر المتطرف، عادوا لوضع اللاجئين في بؤرة اهتمامهم وخطابهم الانتخابي.

ختاماً، وصلت ظاهرة الكراهية للأجانب والعنصرية ضد العرب تحديداً لمستويات غير مسبوقة وانتقلت لفكرة الاعتداء المباشر؛ ما دق نواقيس الخطر لدى الحكومة لمواجهتها، وهي مواجهة يفترض أن تكون مركّبة وطويلة النَّفَس كما هي أسباب الظاهرة السلبية، كما ستحتاج لتضافر الجهود مع الحكومة من قبل المثقفين وأصحاب الرأي والشخصيات الاعتبارية ذات التأثير ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني، وكذلك الجاليات العربية والأجنبية في تركيا.■

بعد نقل العاصمة لبورتسودان وتهديد حميدتي بإنشاء حكومة بمناطق سيطرته..

هل السودان في طريقه للتقسيم؟!

منذ خروج البرهان من الخرطوم وانتقاله هو وحكومته إلى مدينة بورتسودان في الشرق السوداني، والحديث لا يتوقف عن تداعيات نقل العاصمة فعلياً من الخرطوم، وإعلانه أنه سيشكل «حكومة مؤقتة» جديدة من بورتسودان، اعتبره محللون وسياسيون سودانيون خطوة خطرة قد تدفع إلى تقسيم السودان، على غرار السيناريو الليبي، بعدما هدد غريمه «حميدتي» بإنشاء حكومة ثانية في مناطق سيطرته.

تقرير- يوسف أحمد:

في أعقاب إعلان عبدالفتاح البرهان، قائد الجيش السوداني، نيته تشكيل حكومة جديدة من بورتسودان، وتأكيد نائبه الجديد مالك عقار أنه سيتم إعلانها عقب عودة البرهان من رحلته الخارجية التي تنتهي في نيويورك، لوح قائد قوات «الدعم السريع» محمد حمدان دقلو المعروف بـ«حميدتي» بتشكيل «سلطة سياسية حاكمة» في مناطق سيطرة قواته، إذا شكل خصومه في الجيش حكومة.

ومن الواضح أن تهديد قائد قوات «الدعم السريع» بهذا الأمر لا قيمة له وهدفه الضغط على الجيش، فإمكانية تطبيق هذه الفكرة على الأرض، في ظل استمرار القتال الدائر بالعاصمة الخرطوم ومدن أخرى، أمر صعب؛ لأنه لا يسيطر فعلياً على مناطق واسعة من البلاد، وإنما مناطق متفرقة ولا يسمح له الجيش بالاستقرار فيها.

أيضاً ما يتوقعه البعض بشأن «سيناريو ليبيا»؛ أي وجود حكومتين في السودان، يبدو أمراً مستبعداً، وأنه دعاية أو تهديد وضغط من حميدتي لتخويف السودانيين من فكرة تشكيل البرهان حكومة مؤقتة بديلة واستبعاده منها هو وأنصاره، وكذلك لأن السلطة الحاكمة التي يتحدث عنها حميدتي لا تتحقق فقط بالقوات والانتشار العسكري، ولكن بوجود سيطرة على مؤسسات الدولة والمصالح الحكومية وولاء الموظفين له، وهذا غير حاصل.

الوضع في السودان أيضاً يختلف، ولن تغامر القوى السياسية بسمعتها من أجل حميدتي، الذي سينتهي تمرده عاجلاً أم آجلاً، وكذلك يصعب تصور أن تغامر أي دولة عربية أو أفريقية بإعلان دعمها لحكومة حميدتي حتى ولو كانت هناك دول تردد أنها تدعمه.

ويرى محللون أنه في حال طبق حميدتي تهديده، فإنه سيكون بمثابة «انتحار سياسي»؛ لأن السودان سيشهد

بذلك وجود حكومتين؛ ما يعني ترسيخ انقسامات حقيقية في المجتمع، وترشيح الصراع بين مجموعات مختلفة تحارب بعضها بعضاً.

لكن يظل انتقال البرهان والحكومة إلى بورتسودان خطأ؛ لأنه سمح لحميدتي لترويج أنه يسيطر على العاصمة، ويزعم أن البرهان هرب من الحصار، لكنها ربما خطوة لإعادة ترتيب الأوضاع بالتنسيق مع القوى السياسية ودول العالم؛ ولهذا جاءت جولة البرهان الخارجية.

جولة خارجية

وكان البرهان قد غادر الخرطوم ووصل إلى ميناء بورتسودان على البحر الأحمر، في ٢٤ أغسطس ٢٠٢٣م، ومن هناك قام بجولة خارجية إلى مصر ثم جنوب السودان وقطر وإريتريا وتركيا وأوغندا وأخيراً أمريكا.

وحتى ما قبل مغادرة البرهان مقر قيادة الجيش، في ٢٤ أغسطس الماضي، كانت قوات «الدعم السريع» تقول: إن قائد الجيش محاصر تماماً في قبو داخل مقر قيادة الجيش وسط الخرطوم، مؤكدة أنها (قوات الدعم السريع) تسيطر على مقر القيادة العامة للجيش بشكل كامل، وحتى اليوم تقوم بمهاجمة المكان بشكل مستمر.

وما يؤشر على أن الحرب قد تطول، أن «الدعم السريع» تسيطر على أجزاء واسعة من العاصمة، فيما يسيطر الجيش على مقراته فقط في الخرطوم، وبقية الأقاليم ما عدا دارفور الذي تنافسه فيه «الدعم السريع» وترغب في تحويله لعاصمته لو خرجت من الخرطوم.

وبشكل عام، تنتشر «الدعم السريع» في المناطق السكنية بجميع أنحاء الخرطوم وفي بحري وأم درمان المجاورتين، كما تسيطر على جزء من القيادة العامة للقوات المسلحة، وتنتشر في القصر الجمهوري، وفي مطار الخرطوم وعدد من الوزارات والمؤسسات، كما تنتشر في منطقة الخرطوم بحري وجنوب الخرطوم، وفي المناطق السكنية شرق الخرطوم (الرياض والمنشية والطائف وأركويت)، ومناطق جنوب الخرطوم، بحسب وسائل الإعلام المحلية.

تختلف أهداف جولة البرهان باختلاف الدول التي زارها، فزيارته لمصر وتركيا تبدو ذات طابع عسكري أمني، حيث اصطحب معه وفداً عسكرياً على رأسه الفريق أول ميرغني إدريس سليمان، رئيس هيئة التصنيع الحربي، وكان لافتاً تزايد هجمات الطيران بالطائرات المسيرة من جانب الجيش السوداني على قوات حميدتي عقب هذه الزيارات؛ ما قد يشير لحصول الجيش على تقنيات حديثة وطائرات مسيرة.

ويبدو أن قيام البرهان بإعلان حل «الدعم السريع»، ثم مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية بفرض عقوبات على قادة حميدتي، والحديث عن إحالة ملفهم للجنائية الدولية، وتأجيل إعلان الحكومة المؤقتة، كلها خطوات للضغط على حميدتي كي يرضخ للسلام وينهي الحرب.

وقالت صحيفة «سودان تريبون»: إن البرهان يسعى، من خلال جولاته الخارجية، إلى حشد الدعم لوقف الحرب من خلال إقناع الأطراف الإقليمية والدولية أن الجيش يسيطر على أغلب مناطق السودان، مضيفة، عبر مصادر لم تسمها، أن قائد الجيش يلقي بثقله خلف المبادرات المصرية، لكنه لا يثق بمبادرة «إيغاد» الأفريقية.

٤ سيناريوهات

ومنذ بداية الحرب، يطرح محللون ومراكز أبحاث سيناريوهات مختلفة لمستقبلها، وهل تتحول إلى حرب أهلية طويلة الأمد، أم ينتصر الجيش أو «الدعم السريع»؟ لكن السيناريو الأخطر الآن هو هل ينتهي الأمر بتقسيم وتفكك البلاد وانفصال أقاليم في ظل سيطرة الجيش وأنصاره على مدن ومناطق، و«الدعم السريع» بالمثل؟

في ٣١ أغسطس ٢٠٢٣م، حذر قائد الجيش السوداني من أن البلاد سوف تنقسم إذا لم يتم حل الصراع المميت بين الجيش و«الدعم السريع» شبه العسكرية المنافسة، بحسب وكالة «أسوشيتد برس»، وقال البرهان، في كلمة وجهها إلى قوات

البرهان يسعى من خلال جولاته الخارجية إلى حشد الدعم لوقف الحرب

تشكيل حكومتين أمر مستبعد وإنما هو ضغط من حميدتي لتخويف السودانيين

٤ سيناريوهات بشأن الصراع الدموي من بينها احتمالات تقسيم البلاد

مع التقسيم ستنفجر الصراعات المسلحة بين المناطق والجماعات العرقية

الشرطة السودانية في مدينة بورتسودان: «إننا نواجه حرباً، وإذا لم يتم حلها سريعاً فسوف ينقسم السودان».

وفي ٩ أغسطس ٢٠٢٣م، قالت مساعدة الأمين العام للأمم المتحدة «مارثا أما بوبي»، أمام مجلس الأمن: «كلما طال أمد هذه الحرب؛ زاد خطر التشرذم والتدخل الأجنبي وتآكل السيادة وخسارة مستقبل السودان».

من جانبها، رصدت منصة «أسباب» المختصة بالتحليل السياسي والإستراتيجي، في عدد أغسطس ٢٠٢٣م، نحو ٤ سيناريوهات بشأن ذلك الصراع الدموي في السودان، من بينها احتمالات تفكك السودان؛ وكان أول هذه السيناريوهات أن يتحول الصراع إلى حرب أهلية ممتدة، لعدة أسباب من بينها عدم وجود أي مؤشرات على التهدئة أو التوصل إلى حل سلمي عما قريب، ولتدخل جهات خارجية في الصراع ودعمها أحد الأطراف المتحاربة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مدفوعة بما يخدم مصالحها الخاصة؛ ما يؤدي إلى إطالة أمد الصراع، وتعقيد جهود التوصل إلى حل سلمي.

كما أن وجود الموارد القيمة بالسودان، مثل النفط والمعادن، يزيد من جاذبيته في أعين الجهات الخارجية الساعية لاستغلال هذه الموارد، وفي هذا الإطار، قد يكون السيناريو الأول عبارة عن سقوط السودان في فخ الحرب الأهلية الطويلة، التي تتسم بمعارك مكثفة وطويلة بين الجيش و«الدعم السريع».

أما السيناريو الثاني فيتمثل في انتصار البرهان وتحقيق القوات المسلحة السودانية نصراً حاسماً على «الدعم السريع»، وسيطرتها على البلاد، مستغلة قدراتها العسكرية المتفوقة، مثل القوة الجوية والمدرعات والاستخبارات، بجانب الانقسامات الداخلية المحتملة في صفوف «الدعم السريع» وانشقاق بعض قادتها وجنودها وانضمامهم إلى القوات المسلحة.

انتصار حميدتي!

والسيناريو الثالث هو انتصار حميدتي وقواته «الدعم السريع» لتعزز بذلك سيطرتها على السودان، وبرهنتها على كونها خصماً هائلاً للقوات المسلحة، بفضل هيكلتها اللامركزية وكفاءتها في حرب العصابات، والدعم الخارجي، وسيكون ذلك بفضل تحالفات مع الجماعات المسلحة الأخرى، سواء داخل السودان أو من البلدان المجاورة، التي ستوفر مزيداً من القدرات العسكرية والموارد والمجندين والتمويل، ما سيُتيح لـ«الدعم السريع» الحفاظ على وتيرة عملياتها الهجومية وتصعيدها.

لكن انتصار «الدعم السريع» سيأتي مصحوباً بتداعيات متداخلة على الأمن والاستقرار في السودان، ومخاوف حيال انتهاكات حقوق الإنسان والتوترات العرقية، والمقاومة المحتملة من الفصائل المعارضة.

وأخيراً السيناريو الرابع هو تقسيم السودان، وذلك حال أجج صراع السلطة المتصاعد بين البرهان، وحميدتي، الانقسامات العرقية والإقليمية القائمة، ودفع بالسودان نحو حالة التفكك، مدفوعاً بطموحاته الشخصية ورغبته في السلطة؛ حيث سيؤدي تنافسهما من أجل السيطرة والهيمنة على السودان إلى تفاقم التوترات؛ ما سيزيد استقطاب الفصائل والمناطق على حد سواء.

ومع تصعيد الصراع أكثر، ستضعف الحكومة المركزية لتطغى عليها طموحات القوات المسلحة و«الدعم السريع»، بينما سيعطي كلا الفصيلين الأولوية لتعزيز سلطته على المناطق الخاضعة لسيطرته؛ مما سيسفر عن تفكك الحكومة المركزية وظهور مناطق الحكم الذاتي.

ومع تقسيم السودان ستنفجر الصراعات المسلحة وصراعات السلطة بين المناطق والجماعات العرقية المختلفة، التي ستتنافس للسيطرة على الأراضي أو الموارد أو النفوذ السياسي، وستستمر المظالم التاريخية والصراعات التي لم تُحل بعد، مثل صراع دارفور أو انفصال جنوب السودان، في تحريك مطالبات حق تقرير المصير.■

موسم أعياد الصهاينة.. واقتحامات المسجد الأقصى!

د. عبدالله معروف

أستاذ دراسات بيت المقدس

يمر المسجد الأقصى المبارك في هذه الأيام بالموعد السنوي مع أحد أعتى مواسم الاقتحامات التي يقوم بها أفراد جماعات المعبد المتطرفة وتيار الصهيونية الدينية في دولة الاحتلال، وهو موسم بداية السنة العبرية.

حيث تعتبر هذه الجماعات من الناحية الدينية أن بداية السنة العبرية يجب أن تكون بداية لمرحلة جديدة تختلف عما قبلها؛ وتحاول بالتالي أن تنفذ اقتحامات نوعية في «الأقصى» في هذه الفترة، وقد لا يعتمد الأمر على العدد بقدر ما يعتمد لدى هذه الجماعات على نوع وكيفية وأسلوب الاقتحامات، والإنجازات النوعية التي ترغب هذه الجماعات بالحصول عليها في المسجد الأقصى المبارك.

ما يميز هذا الموسم عن مواسم الاقتحامات الأخرى خلال العام –ولكلٍّ من هذه المواسم ميزاته لدى الجماعات المتطرفة–طول فترة الاقتحامات بسبب طول الموسم نسبياً الذي يمتد إلى ٢٢ يوماً (١٦ سبتمبر – ٧ أكتوبر)، بما يشابه لدى المسلمين تقريباً شهر رمضان المبارك الممتد لحوالي ٣٠ يوماً، وتستغل جماعات المعبد المتطرفة هذه الفترة الطويلة لتلتقط أنفاسها وتحاول إحداث تغييرات محددة في المسجد الأقصى كل عام.

إحدى أبرز العمليات التي كانت هذه الجماعات تسعى لتنفيذها في هذه الفترة داخل المسجد الأقصى كان على الدوام نفخ البوق (الشوفار) داخل المسجد الأقصى يوم رأس السنة العبرية، ونفخ البوق يعد طقساً دينياً مهماً لديهم؛ لأنه يشابه فكرة قيام الساعة من حيث كون هذه العملية فاصلاً بين زمنين، كما هو بداية العام يشكل فاصلاً بين زمنين للبشرية، ولذلك فإن جماعات المعبد المتطرفة كانت تسعى دائماً لمحاولة نفخ البوق داخل «الأقصى» في هذا اليوم تشبيهاً للطقس الذي كان يجري في المعبد حسب تصوراتها الدينية.

وكانت هذه الجماعات تفشل كل عام في أداء هذا الطقس نظراً لتخوف المستوى الأمني لدى الاحتلال من تبعات هذه العملية، حتى تمكنت من أدائه بشكل سري تام وتكتم شديد ودون أي تغطية إعلامية بضغطٍ من شرطة الاحتلال على مدار العامين الماضيين، لكنها نجحت هذا العام في ترجمة رغبتها على الأرض، فنُفخ البوق علناً في المسجد الأقصى، وانتظرت شرطة الاحتلال ١٥ ثانية قبل أن تتحرك في تمثيلية ممجوجة سخيفة لإيقاف المتطرف الذي قام بهذه العملية وإخراجه من المسجد لتُخرج نفسها من الحرج!

ما حدث كان في غاية الخطورة؛ لأنه تمت تغطيته والاحتفاء به لدى هذه الجماعات، وقد اتفقت هذه الجماعات مع شرطة الاحتلال التي يديرها المتطرف الكاهاني «إيتمار بن غفير» على هذا السيناريو بهدف تعويد المسلمين على هذا المشهد، وإن استمرت الأوضاع على ما هي عليه فسنرى نفس الحدث يتكرر العام القادم والذي بعده دون إخراج المستوطنين من «الأقصى»، إذ إن هذا هو الأسلوب المتبع دائماً لدى شرطة الاحتلال.

في الوقت نفسه، تبدأ هذه الفترة ما تسمى «أيام التوبة» التي تسبق أهم أيام السنة العبرية، وهو «يوم الغفران» (٢٥ سبتمبر)، حيث تؤدي هذه الجماعات في اليوم التالي له طقوساً دينية محددة بملابس بيضاء اللون محددة داخل المسجد الأقصى، ليتبعه أهم أيام الاقتحامات في هذا الموسم، وهو «عيد العُرش» (المظلة) الذي يتميز لدى هذه الجماعات بالحشد الكبير لأعداد المقتحمين في المسجد الأقصى، وقد أعلنت جماعة «بيدينو» المتطرفة بالفعل أنها تريد أن يكون هذا الموسم كسراً للرقم القياسي لأعداد المقتحمين في «الأقصى».

إن ما يمر به «الأقصى» في هذه الأيام ليس مدعاة للبكائيات وسكب الأحزان على عتباته، وإنما يفترض أن يكون موسماً للوقوف بحزم في وجه الاحتلال ومنع هذه الجماعات من تنفيذ ما تريده في المسجد الأقصى، وقد سبق للشعب الفلسطيني أن أفشل مخططات الاحتلال وجماعاته المتطرفة ثلاث مرات في السنوات العشر الماضية، وهو قادر على ذلك فقط إن وجد الدعم الذي يحتاجه معنوياً من العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط.■

تضامن عالمي مع المغرب بعد كارثة الزلزال

كتب – محرر الشؤون العربية:

شهد المغرب، في ٩ سبتمبر الماضي، وقوع أعنف زلزال منذ عقود، بقوة ٧ درجات على مقياس ريختر، مخلفاً أضراراً هائلة، وحاصداً أرواحاً بالآلاف.

ويواصل رجال الإنقاذ ومتطوعون البحث عن الضحايا الذين ما يزالون تحت الأنقاض في القرى المغربية المنكوبة جراء الزلزال الذي ضرب إقليم الحوز جنوب غربي مدينة مراكش التاريخية، وأودى حتى اللحظة بحياة نحو ٣٠٠٠ شخص، وأكثر من ٥٠٠٠ مصاب، ودمّر قرى في مناطق جبلية على أطراف المدينة.

وتتعطل هذه الجهود بسبب صعوبة الوصول إلى القرى النائية الموجودة في أعالي جبال الأطلس، فيما يعاني أقارب الضحايا لتجاوز مأساة فقدان ذويهم.

ووصف المعهد الوطني المغربي للجيوفيزياء هذا الزلزال بأنه الأعنف منذ قرن، في حين أفادت هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية بأن الزلزال وقع على عمق ١٨,٥ كيلومتراً، ومركزه جبال الأطلس، ولم يحدث مثله بالمملكة المغربية منذ عام ١٩٠٠م.

وخلَّف الزلزال إلى جانب وقوع الضحايا بكل أقاليم وعمالات (مناطق إدارية) الحوز ومراكش وورزازات وأزيلال وشيشاوة وتارودانت، خلَّف حالة من الخوف والهلع وسط السكان، الذين فضلوا المبيت خارج البيوت في الشوارع والحدائق والساحات إلى الصباح.

وتعطلت المدارس وجميع المصالح الإدارية، كما أغلقت المساجد خاصة القديمة منها تحسباً لانهيار مفاجئ، فيما شهدت بنوك الدم إقبالا كبيراً من قبل المواطنين للتبرع بالدم وتقديم المساعدة.

ودعا عدد من الجمعيات المدنية إلى تقديم الدعم اللازم في مثل هذه الحالات، مع أخذ الاحتياط عند السعي إلى الوصول إلى المناطق المتضررة ومساعدة السلطات المحلية.

وتسبب الزلزال في انقطاع التيار الكهربائي وأيضاً شبكة الهاتف في عدد من المناطق قبل أن تعود في بعضها.

وهرعت السلطات المحلية إلى تقديم المساعدة للسكان المتضررين، وعمل رجال الوقاية المدنية على انتشال عدد من الجثث، وإنقاذ آخرين من تحت الأنقاض، ويجد المنقذون صعوبة في الوصول إلى السكان بسبب وعورة الطرق في الجبال.

وتحرك عدد كبير من آليات القوات المسلحة الملكية وسيارات إسعاف إضافية متجهة من الدار البيضاء والرباط إلى مدينة مراكش، كما شوهدت طائرات تحوم فوق المناطق المتضررة.

تضامن دولي

وحظي المغرب بتضامن دولي واسع بعد الزلزال المدمر، وقدمت دول عربية وإسلامية وغربية تعازيها إلى المملكة، وأرسلت المساعدات الإغاثية العاجلة إلى المتضررين، بالإضافة إلى فرق إنقاذ لمواجهة تبعات الزلزال.

ولم تتوقف المبادرات الشعبية لدعم ضحايا الزلزال، حيث توافدت عشرات الشاحنات والسيارات على المناطق المتضررة، محملة بالمساعدات الغذائية والإغاثية، وفق ما تناقلته منصات التواصل الاجتماعي.

ووصف مواطنون لـ«المجتمع» حالة الرعب التي عاشوها خلال الزلزال التي دام أكثر من دقيقة، كما حجب الغبار المتناثر الرؤية في عدد من المناطق المتضررة.

وتداول المغاربة صوراً وفيديوهات عن اللحظات الأولى للزلزال، منها اهتزاز صومعة الكتبية الشهيرة بمراكش، وانهيار منازل ومبانٍ، وسقوط حجارة على السيارات، وهروب الناس إلى الشوارع، ومصابين مستلقين على أسرّة بالمستشفى المحلي بمراكش.

وما تزال عمليات الإنقاذ جارية في المناطق التي ضربها الزلزال في المغرب، وحصيلة الضحايا لم تصل نهايتها بعد.

وعرف المغرب زلازل سابقة أشهرها زلزال أغادير عام ١٩٦٠م الذي خلف حوالي ١٥ ألف قتيل ثلث سكان المدينة آنذاك، وزلزال الحسيمة عام ٢٠٠٤م الذي أدى إلى مقتل حوالي ٧٠٠، وتشريد أكثر من ١٥ ألفاً.■

إعصار مدمر يخلّف آلاف الضحايا والمفقودين في ليبيا

شهدت ليبيا، في ١٠ سبتمبر الماضي، سيولاً وفيضانات غير مسبوقة اجتاحت المنطقة الشرقية من البلاد جراء إعصار مدمر ضرب مدن البيضاء ودرنة والمرج وطبرق وتاكنس والبياضة وبطة وجميع مدن وقرى الجبل الأخضر والساحل الشرقي وصولاً إلى بنغازي.

وخلّفت السيول والفيضانات آلاف الضحايا ودماراً هائلاً في البنى التحتية والممتلكات وانهيار عدد من السدود، وأعلنت السلطات الليبية جميع البلديات التي تعرضت للسيول والفيضانات «مناطق منكوبة».

وقال رئيس الحكومة الليبية المكلفة من البرلمان (شرقاً) أسامة حماد، في تصريحات صحفية نقلتها «وكالة الأنباء الليبية»: إن أحياء سكنية اختفت بعد أن جرفتها السيول إلى البحر مع الآلاف من سكانها، والوضع كارثي وغير مسبوق في ليبيا.

وأعلن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية عن ارتفاع عدد ضحايا السيول في مدينة درنة إلى ١١ ألفاً و٣٠٠ قتيل، وأكثر من ١٠ آلاف مفقود، في حين تتواصل جهود البحث عن المفقودين جراء السيول في درنة، وسط مخاوف من احتمال الوصول إلى مرحلة الوباء بسبب تحلل الجثث وتلوث المياه.

كما أكد المكتب أن الفيضانات أودت بحياة ١٧٠ شخصاً في أماكن أخرى بشرق ليبيا خارج مدينة درنة، وأن عدد النازحين في شمال شرق ليبيا ارتفع إلى نحو ٤٠ ألفاً.

وأفادت وسائل إعلام ليبية بانتشال أحياء كانوا عالقين تحت الأنقاض في مدينة درنة بعد أسبوع من كارثة السيول، ونشرت قنوات ليبية مقطعاً مصوراً لإخراج عائلة مؤلفة من ١١ شخصاً كانوا عالقين تحت أنقاض بناية هدمتها السيول في درنة.

وأعلنت هيئة البحث والتعرف على المفقودين في ليبيا انتشال ٩ جثث مجهولة الهوية قرب شواطئ مدينة درنة، وأضافت الهيئة أن العمل جار على أخذ عينات للجثث للتعرف على أصحابها.

وتداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي مقطعاً مصوراً لإخراج عائلة من تحت أنقاض منزل هدمته السيول في مدينة درنة، وتُظهر الصور مشاركة فرق إغاثة دولية ومتطوعين ليبيين في عملية الإنقاذ.

كما تداول ناشطون صوراً تظهر محاولة فريق إغاثة إسباني التواصل مع أحد العالقين تحت الركام في مدينة درنة.

وعلى إثر الإعصار المسمى «دانيال»، أبدى عدد من دول العالم والمنظمات الإغاثية تضامنها الواسع مع ليبيا، ووجهت بإرسال المساعدات العاجلة وفرق الإنقاذ لمواجهة آثار الكارثة الإنسانية التي حلت بالبلاد.

وحذرت الأمم المتحدة من انتشار الأمراض في مدينة درنة، بينما لا تزال أعمال الإنقاذ متواصلة، وكذلك البحث عن جثث الآلاف تحت الأنقاض.

وقالت الأمم المتحدة: يواصل فريق منظمة الصحة العالمية العمل على منع تفشي الأمراض وتجنب حدوث أزمة مدمرة ثانية في المنطقة، لا سيما بسبب المياه الملوثة ونقص النظافة.

فيما أصدر المركز الليبي لمكافحة الأمراض تحذيراً صحياً بحظر استخدام أو شرب المياه من الشبكة المحلية؛ لأنها ملوثة بمياه الفيضانات.

وفي درنة، أصيب ١٥٠ شخصاً بالتسمم جراء استخدام المياه الملوثة، كما توفي ٥٥ طفلاً متسممين بعد استهلاك هذه المياه، وذلك وفقاً لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية.■

مشاريع خيرية كويتية لخدمة المسلمين في صربيا والجبل الأسود

«الكويت بجانبكم»، شعار رفعته دولة الكويت لمساعدة الإنسانية وإخوانها المسلمين في العالم، وانطلاقاً من مسيرة الخير هذه مدت الكويت أياديها بالخير والمساندة في بقاع شتى، منها صربيا التي أسست وافتتحت فيها مؤخراً عدداً من المشاريع لخدمة المسلمين فيها.

محمد سرحان

بدأت أولى ثمار هذه المشروعات الكويتية بافتتاح المركز الثقافي الكويتي، في ٢٠ أغسطس ٢٠٢٣م، كجزء من مجمع مركز أبو حنيفة الإسلامي في مدينة سينيتسا بحضور رسمي وإسلامي واسع من كل من الكويت وصربيا.

حضر حفل الافتتاح وفد كويتي ضم ممثلين عن وزارة الشؤون الاجتماعية ومنظمات إنسانية، على رأسهم سفير دولة الكويت لدى صربيا فايز المطيري، والشيخ محمود النجدي، رئيس لجنة البلقان بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية، ورئيس فرع الفردوس الشيخ سعود المطيري، والشيخ مبارك فهد الدوسري.

ومن الجانب الصربي، حضر مفتون ومديرون وكبار الأئمة، يتقدمهم رئيس المشيخة الإسلامية في صربيا د. مولود دوديتش، بالإضافة إلى ممثلي الإدارة المحلية بقيادة رئيس بلدية سينيتسا وممثلين عن مؤسسات المدينة.

وفي مقابلة مع «المجتمع»، قال الشيخ كمال محمودوفيتش، نائب مدير الوقف مدير المشيخة الإسلامية للمشاريع: في المشيخة الإسلامية لدينا عدة مشاريع نقوم حالياً بتنفيذها بالتعاون مع دولة الكويت، وكما تعلمون فإن المشيخة الإسلامية في صربيا تحتفظ بعلاقات جيدة جداً مع الحكومة وباقي المؤسسات.

وأما عن المركز الإسلامي في سينيتسا، فهو مركز يقدم خدماته لسكان المدينة من النواحي الدينية والتربوية والاجتماعية، تم بناء هذا المركز بالتعاون مع جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وتم تنفيذه في حدود ٣ سنوات، ويسع لحوالي ٥٠٠ طالب وطالبة في مدرسة القرآن الكريم، بالإضافة إلى قسم لتعلم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية الأخرى.

ومدينة سينيتسا يسكنها حوالي ٣٦ ألف نسمة، معظمهم من المسلمين؛ إذ يمثلون نحو ٨٥% من السكان، وتوجد بالمدينة ٨ مساجد، بالإضافة إلى المركز الإسلامي، كما يتم حالياً بناء مدرسة ثانوية إسلامية أيضاً بالتعاون مع مؤسسة كويتية.

نموذج يُحتذى

وفي كلمته خلال الحفل، قال السفير الكويتي بصربيا فايز المطيري: إن المشاركة في افتتاح المركز الثقافي الكويتي عمل مشرف، فلا شك أن هذا المركز سيقوم على نشر الثقافة والقيم التي يحتاجها النشء ليكون عضواً نافعاً في المجتمع، كما يقدم لنا نموذجاً يحتذى به في العمل الإنساني من خلال ملامسة الاحتياجات اللازمة لمجتمعات الأقليات المسلمة للحفاظ على هويتهم وتعزيز قدراتهم للمساهمة في

محمودوفيتش:

المركز الإسلامي في سينيتسا يقدم خدمات دينية وتربوية واجتماعية لحوالي ٥٠٠ طالب وطالبة

السفير المطيري:

المركز سيلبي احتياجات الأقليات المسلمة للحفاظ على هويتهم وتعزيز قدراتهم في تنمية أوطانهم

النجـدي:

المركز امتداد لنجاحات العمل الإنساني ودعم المشاريع المستدامة لجمعية إحياء التراث الإسلامي

د. دوديتش:

نقدم شكرنا للكويت وجمعية إحياء التراث الإسلامي على دورها في مساندة مسلمي صربيا

تنمية أوطانهم.

إن هذا المركز يؤكد العلاقات الوثيقة بين دولة الكويت وجمهورية صربيا، كما يعد العمل الإنساني الذي تقوم به جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية وتعاونها مع المشيخة الإسلامية في صربيا عملاً ناشطاً لخدمة المجتمع الإسلامي في صربيا.

ومن جانبه، قال الشيخ سعود المطيري، رئيس فرع الفردوس بجمعية إحياء التراث الإسلامي: إن هذا المركز الثقافي الكويتي سيكون مَعْلماً من معالم تعليم القرآن الكريم واللغة العربية؛ ليكون نبراساً وطريقاً للهداية إلى الطريق القويم.

وإيماناً منا في جمعية إحياء التراث الإسلامي فرع الفردوس بأهمية التعاون مع إخواننا المسلمين في جميع بقاع العالم؛ فكانت هذه المساهمة ترجمة عملية، فهنيئاً لكم بهذا الصرح الثقافي ليكون حاضنة تربوية لأبناء المسلمين جميعاً في هذه المدينة حتى يكونوا لبنة صالحة في هذا المجتمع.

أما د. محمود النجدي، مدير لجنة البلقان بجمعية إحياء التراث الإسلامي، فقال: إن افتتاح هذا المركز الثقافي الكويتي في مدينة سينيتسا بدولة صربيا يأتي بدعم ورعاية من القيادة الحكيمة والإنسانية لدولة الكويت، وبتوجيهات صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، وولي عهده سمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، حفظهما الله ورعاهما، وبمتابعة من الحكومة الكويتية، والدعم المباشر من المحسنين والمحسنات من دولة الكويت والمؤسسات والأفراد على كافة المستويات؛ لإيصال هذه الأعمال التي ترونها في مكانها الصحيح لخدمة الإسلام والمسلمين والإنسانية.

مركز العمل الإنساني

وأضاف أن العمل الخيري والإنساني والثقافي مترسخ بدولة الكويت في أفرادها ومؤسساتها، وما يميز الجهود الكويتية في دعم هذه الأعمال المباركة أنها مقصود بها وجه الله تعالى، وهذا أضفى على العمل الخيري الكويتي جانباً إنسانياً عميقاً، فقد أصبحت الكويت سباقة إلى العمل الخيري والإغاثة الإنسانية حتى تم تكريمها عام ٢٠١٤م من قبل الأمم المتحدة وتسميتها بـ«مركز العمل الإنساني»، فطالما دأبت الكويت على أن تكون حاضرة في مختلف الفعاليات والمحافل الدولية التي تحمل في ثناياها تعزيز العمل الإنساني الداعم للمنكوبين والمحتاجين في جميع بقاع العالم.

وأشار النجدي إلى أن هذا المركز الثقافي الكويتي يأتي امتداداً لنجاحات العمل الإنساني ودعم الجهود والمشاريع المستدامة في العمل الخيري التي تشرف عليها جمعية إحياء التراث الإسلامي من خلال لجنة البلقان.

واعتبر أن من أفضل تلك المشاريع الاستثمار في الإنسان لتعلمه وتعليمه، وإن أفضل العلوم هي القرآن الكريم والسُّنة النبوية وتربية الفرد التربية الطيبة من خلال هذا المركز الذي بُني لخلق جيل من المتعلمين بتعاليم الإسلام وسماحته بعيداً عن الأفكار المنحرفة والمتطرفة.

واختتم النجدي بقوله: إن لجنة البلقان في جمعية إحياء التراث تقوم بعمل كبير من خلال دعم المحسنين والمحسنات في الكويت، وبتنسيق مباشر ومشكور من وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الخارجية الكويتية من خلال سفاراتها في الخارج، والتعاون مع المشيخات الإسلامية والمؤسسات الخيرية والمراكز المعتمدة، وبهذا التنسيق تحققت نجاحات طيبة في بناء العديد من المساجد والمراكز الثقافية والمدارس والثانويات الإسلامية وسكن الطالبات وكفالة الأيتام والإسهامات العديدة من أعمال البر والخير.

وفي ختام الكلمات، أعرب رئيس المشيخة الإسلامية في صربيا د. مولود دوديتش عن شكره وامتنانه للكويت والمؤسسات الكويتية، وفي مقدمتها جمعية إحياء التراث الإسلامي، على دورها في مساندة مسلمي صربيا، وبناء مثل هذه المشروعات التي تخدمهم، كما قدم رئيس المشيخة شهادات تقدير للوفد الكويتي؛ تقديراً من المشيخة لدورهم، وتعبيراً عن الامتنان والشكر لجهودهم في خدمة مسلمي صربيا.

ولم تتوقف أيادي الخير الكويتية عند المركز الثقافي الكويتي في سينيتسا، بل زرعت ثمار خير لخدمة مسلمي صربيا بمناطق أخرى، ففي ٢٥ أغسطس الماضي تم افتتاح مركز ثقافي تعليمي يحمل اسم «أحمد عبدالله فلاد» تابع لمسجد «فليكي رت» بمدينة نوفي ساد، وكذلك تم وضع حجر الأساس لمركز ثقافي اسمه «عبدالله مطلق المسيلم» بمنطقة إديتسة في مدينة نوفي ساد، بإشراف أيضاً جمعية إحياء التراث الإسلامي، وبتنفيذ من المشيخة الإسلامية في صربيا.

وضمن جولة الوفد الكويتي الخيرية، تم افتتاح «دار الفردوس للأيتام» بمدينة روزاي بدولة الجبل الأسود.■

خدعة استحالة قيام الاقتصاد العالمي على غير الربا (2)

د. أشـــرف دوابـــــه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

رغم أن اليهود حرَّموا الربا فيما بينهم، فإنهم تحايلوا في التعامل به بينهم، وما استباحوه مع غيرهم رد عليهم، حيث سمح بعض رجال التلمود للمحتاج أن يقترض بربا حتى لا يضار، كما تم السماح بالتعامل بالربا بين العلماء اليهود إذا كان القرض يشمل مواد المعيشة مع اشتراط ألا يزيد الربا عن الخُمس، وأن تكون النية في إعطاء الربا على أنه هدية مع التراضي عليها قبل الاقتراض، وألا يتكرر العمل بهذه القاعدة حتى لا تسري بين العامة والجهلة.

كذلك تم السماح للطلبة اليهود أن يقترضوا بربا من مدرسهم اليهودي على أن يعطوه الزيادة كهدية، فضلاً عن السماح بإقراض أموال اليتامى بربا، بل تم التحايل بتوسيط غير اليهودي في الإقراض بين اليهودي واليهودي، حيث يقرض اليهودي الأول غير اليهودي مبلغاً من النقود بربا، على أن يقوم بدوره بإقراض اليهودي الثاني، ومن هنا ابتكروا البنوك وسيطاً حتى لا يقرض اليهودي أخاه بربا بصورة مباشرة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا، بل تطورت الأمور وأصبح أكل اليهود للربا شيئاً مقبولاً فيما بينهم، وليس مع غيرهم فقط، مبررين ذلك بحاجة النشاط الاقتصادي لسعر الفائدة.

أما «العهد الجديد» فقد جاء فيه: «إذا أقرضتم لمن تنتظرون منهم المكافأة فأي فضل يعرف لكم؟.. ولكن.. افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها، وإذاً يكون ثوابكم عظيم» (الآيتان ٣٤-٣٥ من الفصل ٦ من إنجيل لوقا).

أكثر أشكال الجشع

وأجمع رؤساء الكنيسة ومجامعها على حرمة الربا، بل إن الآباء اليسوعيين الذين يتهمون غالباً بالميل للرخص والتسامح في مطالب الحياة كانت عباراتهم في شأن الربا صارمة قاطعة، واعتبروه أكثر أشكال الجشع وحب المال بغضاً وإثارة للاشمئزاز، حتى قال «سكوبار»: «إن من يقول: إن الربا ليس معصية يعد ملحداً خارجاً عن الدين»، وقال الأب «بوني»: «إن المرابين يفقدون شرفهم في الحياة الدنيا، وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم».

وقد أقر هذه النظرة الدينية القانون المدني الأوروبي عام ٧٨٩م (مرسوم «إيكس لاشابيل»)، وظلت المذهب الوحيد في أوروبا خلال العصور الوسطى، ولكن مع ظهور عصر النهضة بدأت تفقد تلك النظرة بريقها شيئاً فشيئاً، فتم في العام ١٥٩٣م إصدار تشريع يبيح استثمار أموال القاصرين بالربا بإذن القاضي، وظهرت ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر اعتراضات على تلك النظرة الدينية من «كالفان» إلى «مونتيسكو»، بل إن «لويس الرابع عشر» اقترض بالربا ليسدد ثمن «دانكرك» في عام ١٦٦٢م، كما تعامل البابا «بي التاسع» بالربا في عام ١٨٦٠م.

ولم تكن عملية الانتقال للربا في بدايتها علنية أو لحظية، بل إنها استمرت في بلدان

أوروبية مختلفة من عشر سنوات حتى بضعة قرون، وذلك في ظل وجود سلطة شكلية مطلقة للكنيسة الكاثوليكية في روما، وموقف مزدوج تجاه الربا.

فمن ناحية ظلت الكنيسة متمسكة بتشددها في التحريم بحق المسيحيين، ومن ناحية أخرى تعاملت بتساهل مع النشاط الربوي للأشخاص الذين لم يكونوا تحت كنفها، لاسيما اليهود الذين كان الربا مهنتهم الرئيسة في أوروبا منذ زمن الحملات الصليبية؛ وذلك لأن الملوك والأمراء وكبار رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية كانت لهم مصالح مع هؤلاء المرابين اليهود، حيث كانوا يلجؤون إلى خدماتهم، كما كانت أرباح وأموال المرابين اليهود ضرورية من أجل تزويد خزينة الملوك والأمراء بالمال.

ولم يتوقف الأمر على هذا، بل تحول موقف الكنيسة الكاثوليكية تدريجياً تجاه المرابين المسيحيين فلم يعد متشدداً، وذلك لأن الأديرة والرهبانيات الكاثوليكية وبعض الأساقفة وكذلك بعض الأشخاص من المحيطين ببابا الفاتيكان كانوا يمارسون الربا دون علانية من خلال اعتمادهم على وسطاء من المرابين اليهود عند قيامهم بإعطاء قروض بالفائدة، وبذلك تم عملياً إنشاء آلية للتعاون المتبادل بما يحقق مصالح الطرفين.

وقد حاول بعض ممثلي النخبة اللاهوتية في الكنيسة الكاثوليكية أن يجد التبرير العقائدي لهذا التعاون، بينما اعترض آخرون بشدة على هذه الممارسات.

تسويغ لاهوتي

وعادة ما ارتبطت أولى المحاولات لإيجاد تسويغ منطقي ولاهوتي للربا باسم عالم اللاهوت السكولائي «توما الأكويني» (١٢٢٥ - ١٢٧٤م)، فمن جهة، أدان بطريقة عادلة المرابين اليهود؛ إذ ذكر أنَّ المرابين لا يتاجرون في حقيقة الأمر بالنقود وإنما بالزمن، فالمقترض لا يحصل على نقود بقدر ما يحصل على مدة زمنية تمتد من لحظة تسديد الدين، ولكنه من ناحية أخرى سمح بجواز الحصول على مكافأة، أو تعويض أو عمولة مقابل إقراض المال لأجل إنجاز عمل تجاري يدرُّ ربحاً للمقترض، واعتبر بذلك الفائدة نوعاً من الأجر، وإن كان في الوقت نفسه لم يجد جواباً مقنعاً وواضحاً عن السؤال: هل يجب على المقرض أن يطالب بالفائدة في حال لم يكن هناك ربح من المشروع الذي تم استثمار النقود فيه؟

لقد أكد ثلاثة من رجال الفكر الاقتصادي؛ وهم (Hebert, Ekelund,and Tollison) في دراسة لهم عن الربا في أوروبا بالعصور الوسطى أن أحد أسباب التغير في موقف الكنيسة الكاثوليكية في روما هو مصالحها المادية.

فقد استخدمت عقيدة تحريم الربا في البداية حتى تحصل على ما تريد من مال ضروري بلا تكلفة، ثم تغير الأمر بعد ذلك حينما أصبحت الكنيسة على درجة عريضة من الثراء وأصبحت منافساً في سوق القروض، وربما كان هذا أحد العوامل التي أدت إلى تعديل الموقف المتشدد من تحريم الفائدة، ولكنه يجب ألا يؤخذ على أنه العامل الوحيد أو الرئيس؛ ذلك لأن مجموعة العوامل الأخرى التي تمثلت في تطورات فكرية (العلمانية) واقتصادية (تطور النشاط التجاري) كان لها دور مهم لا يمكن إهماله أو التقليل منه في تفسير موقف كنيسة روما الكاثوليكية.■

رغم أن اليهود حرَّموا الربا فيما بينهم فإنهم تحايلوا في التعامل به مع بعضهم بعضاً

أجمع رؤساء الكنيسة على حرمة الربا واعتبروه أكثر أشكال الجشع بغضاً وإثارة للاشمئزاز

الكنيسة ظلت متمسكة بتشددها في تحريم الربا بحق المسيحيين ولكنها تعاملت به مع اليهود!

فن الرواية.. والتلاعب بالتاريخ! (2 - 4)
تسامُح «التلميذ» مع الحملة الفرنسية على مصر!

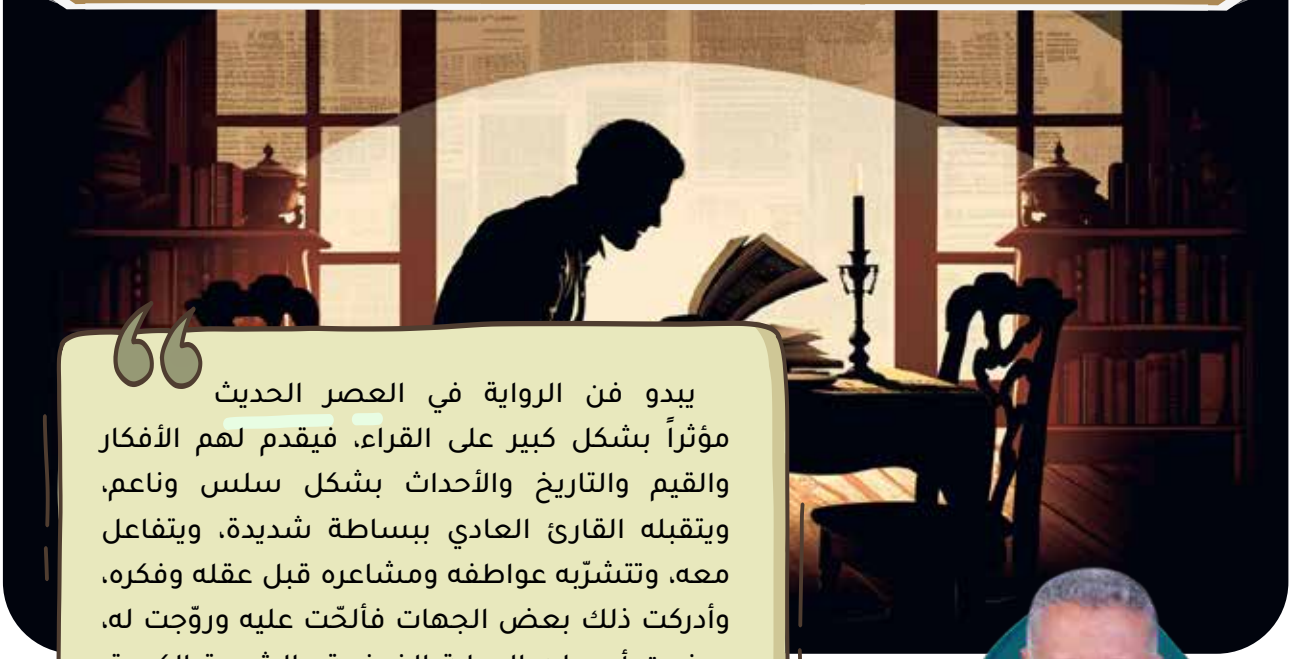

د. حلمي القاعود
أستـــاذ الأدب والنقـد

يبدو فن الرواية في العصر الحديث مؤثراً بشكل كبير على القراء، فيقدم لهم الأفكار والقيم والتاريخ والأحداث بشكل سلس وناعم، ويتقبله القارئ العادي ببساطة شديدة، ويتفاعل معه، وتتشرّبه عواطفه ومشاعره قبل عقله وفكره، وأدركت ذلك بعض الجهات فألحّت عليه وروّجت له، ومنحت أصحابه الدعاية الضخمة والشهرة الكبيرة، والجوائز الثمينة، والامتيازات الاستثنائية، في حال تحقيق غاياتها الثلاث الرئيسة: الطعن في الدين، تسويغ الإباحية، تسييل القيم.. ونكمل في هذا الجزء بعضاً من رواية «يعقوب» لمحمد عفيفي.

المكان:

يشمل المكان مساحة واسعة ممتدة من جامعة القاهرة إلى جامعة إن بروفانس في باريس، وتبدأ علاقته بالشخصية الرئيسة من مكتب رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة القاهرة، وتسافر إلى الجهات الأربع، وتنتهي إليه؛ فقد صار التلميذ أستاذاً يشار إليه بالبنان، ويسافر إلى المؤتمرات الدولية واللقاءات العلمية، ويرقى حتى يصير رئيساً للقسم ويعتلي كرسي المكتب الذي بدأ منه أحلامه، وهو غرفة معتمة كان يجلس فيها أستاذه ومرشده، رئيس قسم التاريخ، ولعل في وصفه بالغرفة المعتمة يشير إلى الغموض أو عدم الوضوح الذي يتوازى مع مهنة المؤرخ الباحث عن الحقيقة في أضابير التاريخ.

ثم هناك بيت الأسرة في شارع جرجس بولس بحي شبرا، بناه الجد القادم من إحدى قرى المنوفية أيام ثورة ١٩١٩م، و«الأتوبيس» أو الحافلة وسيلة الانتقال منه إلى أرجاء القاهرة، وخاصة إلى محطة الدمرداش المصدر الأساس لثقافة التلميذ العقدية، حيث مقر البطريركية في العباسية (الأنبا رويس)، وبهو الكنيسة المرقسية بكلوت بك، مقر البطريركية منذ القرن التاسع عشر.

ينتقل التلميذ إلى «شاتو دي فينسان» (باريس)، في بعثة للدراسة حيث أرشيف الحربية الفرنسية الذي يضم أوراق الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م)، ويتيح المكان هنا فرصة للتلميذ كي يتعرف على شاب فرنسي «تو شرار» ومصادقته، ويقوده إلى شخصية مؤثرة في حياته لاحقاً، وهو «آندريه ريمون»، مؤلف كتاب «تاريخ القاهرة العثمانية»، ترجمة زهير الشايب (ص ٣٣)، وله كتاب آخر يعد الكتاب العمدة عن الحرفيين والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر (ص ٣٤)، و«ريمون» مدير معهد دراسات العالم العربي والإسلامي بـ«إكس إن بروفانس»، أحد أهم المراكز البحثية في فرنسا، ويزور القاهرة من آن لآخر وينزل ضيفاً على المعهد الفرنسي بالقاهرة، وأظن

أن المكان كان مؤثراً في تشكيل رؤية التلميذ/ الراوي للحملة الفرنسية وخيانة يعقوب ومن معه، وجعلت من الاحتلال والخيانة مسألة خلافية، وليست خلقية ووطنية وعقدية!

الزمان:

ينطلق الزمان التاريخي من أيامنا الراهنة (الثمانينيات من القرن العشرين) إلى زمن الحملة الفرنسية، حيث ينظر التلميذ/ الراوي الذي يعيش في الثمانينيات من القرن العشرين، إلى الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر.

الزمن التاريخي يشير من خلال كتب التاريخ إلى الحملة الفرنسية وممارساتها الوحشية الدموية، وخيانة بعض المتعصّبين النصارى ومساعدتهم المحتل الغازي الدموي، وسعيهم لنزع الرابطة الإسلامية التي تربط مصر بأشقائها، بدعوى الاستقلال الوطني، أو تحت ذريعة الظلم الذي لحق بالطائفة!

ولكن الزمن الروائي الذي تمثله رؤية الراوي المعاصر تبدو مغايرة، ويتجلى فيها تأثير الزمن الراهن على الثقافة والفكر، حيث نجح الفرنسيون في استقطاب نخبة كبيرة، تخضع لثقافتها، وتردّد مقولاتها، وخاصة ما يتعلق بوحشيتها الدموية، وتجنيد الخونة لخدمتها، فرأينا الشخصية الأساسية للتلميذ/الراوي يتسامح مع الحملة الفرنسة، ويتعامل معها كأنها مجرد حدث عابر، أو زيارة عادية قام بها الجيش الفرنسي إلى أرض مصر ليبشر بالنهضة والتقدم، كما قال آخرون في بعض الأعمال الفنية المسرحية أو المصورة، وتجاهل القوم أنه قتل سُبُع الشعب المصري (٣٠٠ ألف، من مجموع الشعب المصري آنئذ الذي بلغ مليونين ومائة ألف نسمة!).

التراكم الزمني منذ الحملة الفرنسية حتى اليوم غيّر كثيراً من المفاهيم الصلبة عن الوطنية وحماية الأوطان، والاعتزاز بالثقافة القومية، وحوّلها إلى مفاهيم سائلة تقبل بالاحتلال الأجنبي، وترضى بثقافته الدموية، وتتسامح مع الولاء له وخيانة الوطن!

الشخصيات:

تقابلنا في الروايات شخصيات عديدة ذات علاقة بالشخصية الأساسية، وهي

شخصيات حقيقية في معظمها وتظهر بأسمائها المعروفة: البابا القديس كيرلس السادس، الأنبا بيشوي، سكرتير البابا الأنبا بسنتي، والأستاذ ريمون، والمعلم يعقوب، والمعلم جرجس الجوهري، والجنرال ديسيه، ولاسكاريس، وإسماعيل الخشاب، وروفائيل نخلة، وضياء القللي، وعماد أبو غازي، وماجد كامل، وبعضها يظهر من خلال وظيفته مثل الأنبا شنودة، والخادم فايز، والتلميذ/الراوي، وفؤاد تلميذ الأنبا بسنتي.

الراوي/التلميذ:

أكثر الشخصيات حضوراً في النص هي شخصية الراوي الذي يسمي نفسه بـ«التلميذ»، وتأتي بقية الشخصيات تنويعات على سرده لرحلة حياته وطموحه ليكون باحثاً يكشف تاريخ الأقباط ويواجه ما يسميه التطرف المستجد، وهي تسمية مجازية للتعبير عن الإسلام، وإن كان يخلطها هو وغيره بالإرهاب والعنف.

والتلميذ مدرس مساعد بقسم التاريخ في كلية الآداب بالقاهرة، يبغي تسجيل رسالة دكتوراة عن التطرف المستجد، ويصطدم بما يراه سلبيات في التعليم الجامعي، من خلال «السمينار» (حلقة البحث) الذي يعقده القسم لمناقشة طلاب الماجستير والدكتوراة في موضوعاتهم التي يتقدمون بها للحصول على الدرجة العلمية، فيشير إلى محاولة أعضاء القسم «تشريح» الطالب المتقدم بموضوع بحث، والاستخفاف به! وأحياناً سؤاله عن النتائج قبل أن يبدأ بحثه وجمع مادته (ص ٨)، ثم هناك الأستاذ المنتفخ دائماً، وأعضاء القسم الذين يرون الطالب مغروراً حين يبدي أنه سيطلع على الأرشيف، والأستاذ الذي يقترح العمل على تاريخ اليهود لأنه أسهل وأحسن، ولكن التلميذ يرفض ترك تاريخ الأقباط ليدرس تاريخ اليهود (ص ٩).

المسلم لا يضحك!

ويقوم فؤاد، تلميذ الأنبا بسنتي، بمهمة تقديم التلميذ/الراوي لرئيس الكنيسة (البابا)، الذي يلتقي به ويتبسط معه، ويذكّره أنه خريج قسم التاريخ في الكلية ذاتها في الأربعينيات، فهو من كبار الحكائين (ص ١٦)، والبابا في نظر التلميذ أكثر إنسانية ورحابة حين يضحك ويهتف بمن حوله وكأنه يلومهم على عدم الضحك؛ «نحن معشر الرهبان إذا لم نضحك نموت» (ص ١٦) (المسلم في كثير الروايات جهم عبوس لا يعرف الضحك طريقاً إلى سحنته!).

ويبدو البابا في نظر التلميذ الشاب أكثر تفهماً من أساتذة القسم الذين يملكون سطوة الكهنوت وسلطان الرفض لكل ما هو جديد، ويتملق التلميذ البابا فيراه مثله، ابن حي شبرا العريق المتسامح، وخريج القسم الذي درس فيه، ويدرك تأثير هذه الكلمات على البابا؛ «لذلك أنت تستحق أن تكون أول مسلم يدخل الأرشيف»! (ص ١٧)، ودائماً يرى البابا في صورة رئيس الدولة؛ «الفرحة عارمة في قلوب الشعب القبطي بعد خروج البابا من الدير عقب إنهاء الإقامة الجبرية في سبتمبر ١٩٨١م المشؤوم أو خريف الغضب كما أطلق

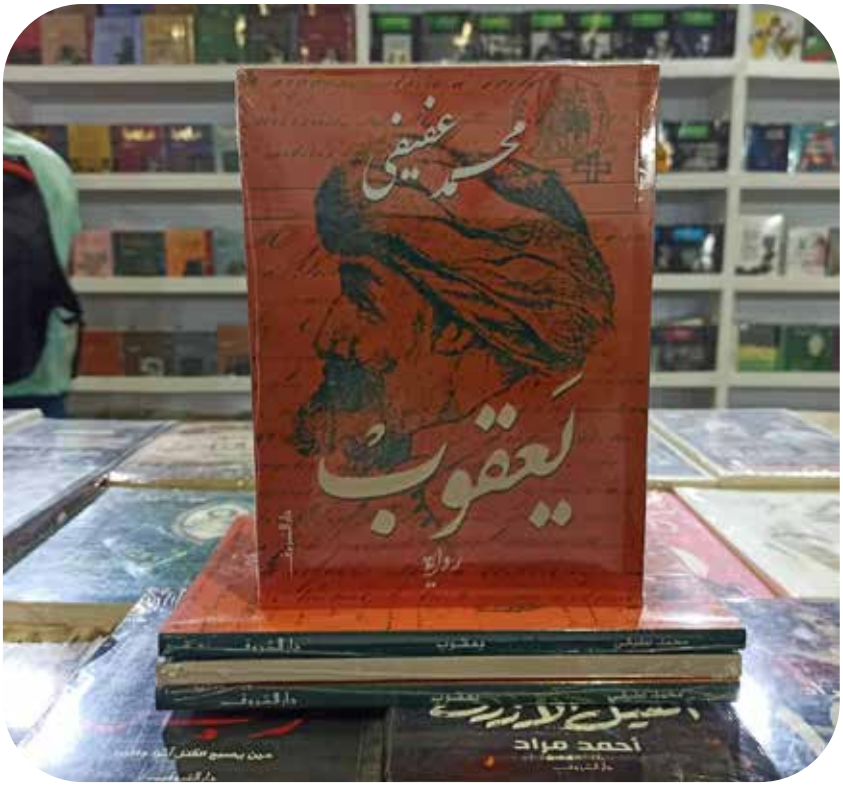

البابا في نظر «التلميذ» أكثر تفهماً من أساتذة القسم الذين يرفضون كل ما هو جديد!

عليه هيكل» (ص ١١)، «المكان يشتعل بالهتاف بحياة البابا»، «ولا موكب رئيس الجمهورية، يرد شاب آخر: طبعاً أجدع من موكب الرئيس، ويؤمّن التلميذ على هذا الكلام» (ص ١٢).

ويحصل التلميذ مصادفة على منحة لحساب معهد «إكس إن بروفانس» بمعرفة ريمون، فدائماً المصادفات تغير مجرى حياته! كما يقول الراوي، وبالمصادفة يجد في الفهرس بيان عن رسالة بعثها الجنرال يعقوب في رثاء الجنرال ديسيه، يا لسخرية القدر! ثم يحصل التلميذ على الدكتوراة، فلماذا لا يتجاوز نصيحة أستاذه بالابتعاد عن الموضوع الخلافي، ويبدأ المغامرة؟ (ص ٣٥)، ويلتقي التلميذ في المكتبة الوطنية الفرنسية بفتاة لبنانية اسمها أمنية وتنشأ بينهما علاقة عاطفية حميمة (ص ٣٧).

ولكنها لا تشغله عن المغامرة وراء الكشف عن يعقوب؛ «لا بد أن يبحث حول موضوع

«التلميذ» مشغول بغسل سمعة «يعقوب» المشينة حيث نفى مسألة الخيانة بالقطع عنه!

مشروع يعقوب لاستقلال مصر عام ١٨٠١م، هذا المشروع الذي أشار إليه، بل وأشاد به، جورج دوان، وشفيق غربال، ولويس عوض»! (ص ٤٩).

ويدعي التلميذ أن شبح يعقوب يطارده حتى في لحظات الوصال مع حبيبته اللبنانية، وعليه أن يتوقف عند هذا الحد ليتقدم للترقية إلى درجة الأستاذية، سيكتشف بعد ذلك أنه ليس بالعلم وحده يحيا الأستاذ الجامعي، وأن البقاء للأضعف، وليس للأقوى علمياً، وأن الشللية تسربت إلى محراب الجامعة، (ص ٦٣)، ويؤكد تغييب الدور البحثي والثقافي للجامعة، وتحويلها إلى مدرسة ثانوية عليا! (ص ٦٤)، وكان عليه أن يختار، وتذكر الدعاء المسيحي: «ربي لا تضعني في تجربة» (ص ٦٤).

وجاءه الفرج من أستاذه أندريه ريمون ليخبره أنه عثر على جزء مفقود من محاضر ديوان الحملة الفرنسية (ص ٦٥)، ولأن التلميذ الراوي مشغول بالتقرب إلى الكنيسة، فإنه ينتقد رسالة لباحث عن الأجانب في عهد محمد علي ويتساءل: لماذا لم يطرح إشكالية معينة مثل قبول الآخر، أو بدايات المجتمع «الكوزموبوليتاني» في مصر؟ (ص ٨٥).

نفي الخيانة

إن الراوي مشغول بغسل سمعة يعقوب المشينة، فقد نفى التلميذ مسألة الخيانة بالقطع عن يعقوب، وراح يشرح أن هناك فرقاً بين التعاون مع المحتل، بحكم الحاجة وضرورة تصريف شؤون الحياة اليومية، ومسألة الانخراط مع المحتل، وأظهر التلميذ امتعاضه من مسألة تفضيل يعقوب ترك بلده والرحيل مع الجيش الفرنسي إلى فرنسا، وأنه في هذا الشأن يبجل المعلم جرجس الجوهري، سليل عائلة الجوهري القبطية، وعميدها إبراهيم الجوهري الخائن الذي أفاد من العفو العثماني (ص، ١١٢)؛ «هنا ذكره أبونا بواقعة إعدام العثمانيين للمعلمين أبو طاقية وملطي، وهل يبقى يعقوب ليكون جزاؤه قطع الرقاب؟!» (ص ١١٣) (لم يقل الراوي: إنهما كانا من الخونة الذين قاتلوا الشعب المصري مع المحتل الفرنسي، ولم يذكّره بذبح الفرنسيين لآلاف المصريين الأبرياء!).

صدق أبونا على رواية القتل بالسم (يقصد موت يعقوب على ظهر السفينة التي حملته مع الخونة الآخرين وجنود الاحتلال إلى فرنسا)، وأنه قتل بدسيسة عثمانية، لم يتقبل التلميذ هذا الطرح، ورأى أنه قتل بالسم بأيد فرنسية انتقاماً لاتصال لاسكاريس، ويعقوب، بالإنجليز، وهما على ظهر السفينة، فلم يغفر الفرنسيون هذا الأمر، أنهى أبونا الحديث قائلاً: «على أي حال لم يكن خائناً لوطنه»!

رد التلميذ سريعاً: «ولكني أميل إلى نموذج جرجس الجوهري» (وهو خائن أيضاً وأفاد من العفو العثماني فبقي في البلاد كما سبقت الإشارة) (ص ١١٣).

هكذا يبدو التلميذ متيماً بحب الخائن وطائفته، ومغاضباً للتطرف المستجد الذي يكني به عن الإسلام والمسلمين!■

ربانيون مع الأجيال..
الاستثمار الأمثل لساعات المدرسة

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

في الجلسة الحوارية الأسبوعية بين الجد الداعية الرباني وأبنائه وأحفاده بدأت التعليقات المرحة حول بداية العام الدراسي: مرحلة جديدة ومناهج حديثة، ضرورة تنظيم ساعات النوم، معلمون ربما نراهم أول مرة، ساعات ثقيلة إلا ساعة التربية البدنية.

وهنا يتدخل الجد الداعية الرباني الحكيم بعد أن أنصت واستمع باهتمام وإيجابية، قائلاً: لنفكر أيها الأحفاد، كيف نستفيد من ساعاتنا في المدرسة؟ بل كيف نستثمر وقتنا فيها؟

اعلموا أن الوقت هو الحياة، فمن أضاع وقته فقد أضاع حياته:

دقات قلب المرء قائلة له:
إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني[1]

والطالب الذكي يعرف كيف يستثمر وقته أحسن استثمار.. وقت المدرسة.

هنا بادر الأحفاد وكأنهم صوت واحد: كيف يتم ذلك يا جدي؟

وهنا انفرجت أسارير الجد الكريم شكراً لله على أن يسّر له لحظة تعليمية جديدة برغبة الأحفاد وطلبهم؛ فهذه هي اللحظة التعليمية التي تكلم عنها التربويون، وهي من أكثر الأوقات فائدة في الموقف التربوي؛ حيث يطلب المتعلم نفسه من معلمه علماً نافعاً وتجربة مفيدة وحلاً لمشكلة، يفيد منه الطالب.

فقال الجد الحكيم:

- ليكن تواجدكم ثابتاً في المسجد وحاضراً في صلاة الظهر.
- لتكن هناك حلقات القرآن الكريم حيث تطلبون من معلميكم متابعتكم في الحفظ والتلاوة وتعلم أحكام التجويد.
- ليبادر الطالب المقتدر بإلقاء خاطرة تربوية بعد الصلاة بالتنسيق مع معلمه.
- احرص على أن تشارك في المناسبات الدينية والوطنية.
- ليكن لك كلمة في لقاء الصباح.
- اقترح على معلمك أن يكون هناك دوري ثقافي في المدرسة.
- شارك في النشاط المسرحي المفيد الذي يوجه الطلاب نحو تعلم القيم والتاريخ..
- شارك في النشاط الرياضي المدرسي.
- شارك -بإيجابية- في مختلف المناشط المدرسية المناسبة لك.
- كن إيجابياً في الفصل مع معلميك؛ حضّر الدرس وحاور معلمك واستفهم منه.
- اكتب ولخّص واحفظ وافهم المعلومة ووظفها في حياتك، ولا ترض بأقل من التميز.
- حسّن علاقتك مع معلميك وزملائك بالابتسامة والكلمة الطيبة والاحترام المتبادل.

وهنا يتذكر الجد الداعية الرباني الحكيم أمراً فقول: ولن أنسى أول رحلة للعمرة مع مدرسينا وزملائنا في المدرسة، فقد كانت رحلة مؤثرة في حياتي؛ وقد لبس معلمنا لباس الإحرام ملبياً للعمرة، ونحن لبينا كما لبّى معلمنا، ثم ارتفعت أصواتنا وعلتْ تشق الفضاء حتى اقتربنا من مكة، فرأينا الكعبة المشرفة؛ فخشعت ووجلت قلوبنا وذرفت دموعنا واقشعرّتْ أبداننا؛ فانشرحت صدورنا وقرّتْ أعيننا برؤية البيت الحرام.

ليتكم تقترحون على إدارة مدرستكم عمل رحلة طلابية للعمرة، ويكون لكم بذلك الأجر والثواب، فـ«الدال على الخير كفاعله»[2].

وليكن لمسجد المدرسة ومكتبتها ومسرحها دور فاعل ومتميز في ساعات المدرسة!

وليكن لمسجد المدرسة دور متميز في الأعمال التالية: إقامة صلاة الظهر، إلقاء الخواطر بعد الصلاة، عمل حلقات القرآن الكريم، إلقاء المحاضرات، عمل المسابقات الثقافية.

ولمكتبة المدرسة دور أيضاً: تكوين أصدقاء المكتبة، تحديث كتب المدرسة، عمل مسابقات تلخيص الكتب، تبني مشروع «القراءة العربية»، وضع اسم أحسن قارئ في الشهر.

وكذلك مسرح المدرسة: عمل المسابقات الثقافية، عمل الفعاليات الدينية الوطنية، عمل المسرحيات القيمية الهادفة، عمل المحاضرات والندوات الحوارية لضيوف متميزين ومؤثرين في المجتمع ولمناقشة قضايا تشغل المجتمع؛ كقضية المرور والمخدرات والإلحاد والشذوذ والعنف والتنمر والتدخين، متابعة التكريم المستمر للمتميزين من الطلاب.

وفق الله الجميع لخيري الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(١) شعر أحمد شوقي.

(٢) أخرجه الترمذي، وهو حديث حسن صحيح (الموسوعة الحديثية).

معالم النصر والتمكين في سيرة الخلفاء الراشدين (2)

جيل يصنع التغيير

د. علي محمد الصلابي
داعية متخصص في التاريخ الإسلامي

ارتفع الصحابة في الدين؛ حيث أحبّوا الله ورسوله حبّاً عظيماً، وقدموا حبّهم على كل شيء، كما أنهم أبغضوا ما يبغضه الله ورسوله، ووالوا ما والاه الله ورسوله، واتّبعوا رسوله، واقتفوا أثره.

لقد أحبَّ الصَّحابة ربَّهم، وخالقهم، ورازقهم؛ لأنَّ النفوس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها، وأيُّ إحسان كإحسان من خلق فقدَّر، وشرع فيسَّر، وجعل الإنسان في أحسن تقويم، ووعد من أطاعه بجنَّة الخلد التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر! لهذا كلِّه، ولأكثر منه، أحبَّ ذلك الجيل ربَّهم حباً لا مثيل له، فقدَّموا أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم في سبيل الله بلا تردُّدٍ، أو منَّةٍ، بل اعتبروا ذلك تفضُّلاً من الله عليهم، أن فتح لهم باب الجهاد، والاستشهاد في سبيله، ويسَّر لهم أسبابه، فقاموا بذلك الواجب خير قيام. (الإيمان وأثره في الحياة، للقرضاوي، ص ٥ – ١٢).

وهذه هي الصفة الكبرى التي اتّصف بها الصحابة الكرام، التي بها سلكوا سبيل الهدى، وحازوا السبق، وحصّلوا الدرجات العلا في القيم والأخلاق، فكانوا أمثلة يحتذى بها، ويُنهج طريقها، ويتبع أثرها، ومن صفات هذا الجيل وأخصهم أبو بكر رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(المائدة: ٥٤)، هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أوَّل مَنْ تنطبق عليه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدِّين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات، وأعلى المبرَّات، فهذه الصِّفات: (عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة الكرام، ٢/٥٣٤).

القيادة الإسلامية بزعامة الصِّدِّيق جعلت الجزيرة العربية قاعدة للانطلاق لفتح العالم

١- ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾:

مذهب السَّلف في المحبَّة المسندة له سبحانه وتعالى: أنَّها ثابتة له تعالى بلا كيف، ولا تأويل، ولا مشاركة للمخلوق في شيء من خصائصها. (تفسير القاسمي، ٦/ ٢٥٣).

لقد أحبَّ المولى عزَّ وجلَّ ذلك الجيل لما بذلوه من أجل دينهم، وبما تطوَّعوا به بما لم يفرض عليهم فرضاً تقرُّباً إلى الله، وحبّاً لرسوله، واتخاذهم المندوبات، والمستحبات كأنَّها فروض واجبةُ التَّنفيذ. (كيف نكتب التَّاريخ الإسلاميَّ، لمحمد قطب، ص ٩٠).

ولقد اتَّصف هذا الجيل بصفات الإحسان، والتقوى والصبر، التي ذكر المولى عزَّ وجلَّ بأنه يحبُّها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

يُنفقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦).

٢- ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

فهذه صفات المؤمنين، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه، ووليِّه، متعزِّزاً على خصمه، وعدوِّه (تفسير القاسمي، ٦/ ٢٥٥)، ولذلك قام الصِّدِّيق وجنوده الكرام بمناصرة المسلمين، وخرج بنفسه يقاتل المرتدِّين، وسيَّر أحد عشر لواء لرفع الظُّلم عن المؤمنين، وكسر شوكة المرتدِّين، ولم يقبل من المرتدِّين الذين عذَّبوا المستضعفين من مواطنيهم المسلمين إلا أن يأخذ بحقِّهم منهم، فيفعل بهم كما فعلوا بهم، وكذلك فعل قادة جيوشه، وكان رضي الله عنه حريصاً على مراعاة أحوال الرَّعيَّة في المجتمع، فقد مرَّ بنا كيف كان يعامل الجواري، والعجائز، وكبار السنِّ، رضي الله عنه.

لقد سادت هذه الصِّفات في عصر الصِّدِّيق، وتجسَّدت في حياة الناس.

٣- ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

وقد ظهرت صفة المجاهدة لأعداء الله في عصر الصِّدِّيق في حربهم للمرتدِّين، وكسرهم لشوكتهم، ومن بعد في الفتوحات الإسلامية.

لقد جاهد الصَّحابة أعداءهم من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وتحقيق عبادة الله وحده، وإقامة حكم الله، ونظام الإسلام في الأرض، ودفع عدوان المرتدِّين، ومنع الظُّلم بين النَّاس، وبالجهاد في سبيل الله تحقَّق إعزاز المسلمين، وإذلال المرتدِّين، ورجع الناس إلى دين الله.

واستطاعت القيادة الإسلاميَّة بزعامة الصِّدِّيق رضي الله عنه أن تجعل من الجزيرة العربية قاعدة للانطلاق لفتح العالم أجمع، وأصبحت الجزيرة هي النبع الصافي؛ الذي يتدفَّق منه الإسلام، ليصل إلى أصقاع الأرض، بواسطة رجال عركتهم الحياة، وأصبحوا من أهل الخبرات المتعدِّدة في مجالات التربية، والتعليم، والجهاد، وإقامة شرع الله الشامل لإسعاد بني الإنسان حيثما كان. (فقه التمكين في القرآن الكريم، ص ٤٩١).

لقد كان الجهاد الذي خاضه الصحابة في حروب الردَّة إعداداً ربانياً للفتوحات الإسلامية، حيث تميَّزت الرايات، وظهرت القدرات، وتفجَّرت الطاقات، واكتشفت قيادات ميدانية، وتفنَّن القادة في الأساليب، والخطط الحربية، وبرزت مؤهلات الجندية الصادقة، المطيعة، المنضبطة، الواعية؛ التي تقاتل وهي تعلم على ماذا تقاتل، وتقدِّم كل شيء وهي تعلم من أجل ماذا تضحِّي وتبذل، ولذا كان الأداء فائقاً، والتفاني عظيماً. (تاريخ صدر الإسلام، ص ١٤٣).

هذا الجيل اتصف بصفات الإحسان والتقوى والصبر التي ذكر المولى بأنه يحبها

من صفات المؤمنين أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه متعزِّزاً على عدوِّه وخصمه

الصحابة جاهدوا أعداءهم لتكون كلمة الله هي العليا وإقامة نظام الإسلام بالأرض

لقد توحَّدت شبه الجزيرة العربية بفضل الله، ثم جهاد الصحابة مع الصِّدِّيق تحت راية الإسلام لأول مرة في تاريخها بزوال الرؤوس، أو انتظامها ضمن المد الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام (المدينة) هيمنتها على ربوع الجزيرة، وأصبحت الأمة تسير بمبدأ واحد، بفكرة واحدة، فكان الانتصار انتصاراً للدعوة الإسلامية، ولوحدة الأمة بتضامنها، وتغلُّبها على عوامل التفكك، والعصبية، كما كانت برهاناً على أن الدولة الإسلامية بقيادة الصِّدِّيق قادرة على التغلب على أعنف الأزمات. (تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة، ص ٢٥٦).

وهكذا كان الصحابة يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لوم أحد، واعتراضه، ونقده، لصلابتهم في دينهم، ولأنَّهم يعملون لإحقاق الحق، وإبطال الباطل. (تفسير المنير، ٦/ ٢٣٣).

٤- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾:

الإشارة إلى ما ذُكر من حبِّ الله إيَّاهم، وحبِّهم لله، وذلَّتهم للمؤمنين، وعزَّتهم على الكافرين، وجهادهم في سبيل الله، وعدم مبالاتهم لِلَوْم اللوَّام، فالمذكور كله فضل الله الذي فضَّل به أولياءه، يؤتيه من يشاء؛ أي: ممن يريد به مزيد إكرام من سَعَة جوده، والله واسع، كثير الفواضل جلَّ جلاله، عليم بمن هو أهلها، فهو تعالى واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يُحْرَم منه. (تفسير المنير، ٦/ ٢٣٣).■

نظام التفاهة وعالم الرُّويْبِضة!

ناصر حمدادوش
برلمانـي جزائـري سابـق

في عام ٢٠١٧م، صدر كتاب «نظام التفاهة» للمفكر والأستاذ في الفلسفة والعلوم السياسية الكندي «ألان دونو»، وقد ترجمته وعلَّقت عليه الأستاذة في القانون الخاص بكلية الحقوق- جامعة الكويت د. مشاعل عبدالعزيز الهاجري، عام ٢٠٢٠م، وهو كتاب لافت في عنوانه، شيق في مضمونه، جريء في أطروحاته، يمكن تصنيفه ضمن أدبيات «ما بعد الحداثة»، التي تهتم بنقد مآلات الحداثة الغربية، حيث انحدرت إلى تضخم النزعة المادية والاستهلاكية، وإلى «تشييء» الإنسان وتسليعه، بدلاً من تحريره وصون كرامته.

والكاتب كما تقول المترجمة: صاحب عقل متدفق، وهو ثائر غاضب وحادّ، فهو من أشد المناهضين للرأسمالية المتوحشة، وقد ألَّف كتابه هذا كنوع من القلق على مستقبل الإنسانية، مؤكداً واقعاً مريراً؛ «لقد تبوَّأ التافهون قمة السلطة»، وأن الفكرة المركزية له أن البشرية تعيش مرحلة مأساوية وغير مسبوقة في تاريخها المعاصر، وذلك بسبب سيطرة التافهين على مفاصل الحياة، وهو بذلك يدق ناقوس الخطر من تحكمهم في أدوات السلطة وسيطرتهم على وسائل التأثير، وأننا محاطون بقدر كبير من العبثية واللامبالاة.

وقد غَزَت هذه التفاهة ميادين شتى، منها: الحياة اليومية والرياضة والفن والتكنولوجيا والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، بل وزحفت نحو السياسة والاقتصاد وعالم المال والأعمال، بل ولم تستثن الميادين المقدسة؛ الدينية والتعليمية والأكاديمية والبحثية.

وقد أصبحت للتفاهة هيكليةٌ بنيوية منتشرة في كل أنحاء العالم، وهي تضرب بجذورها الناعمة أعماق الأفراد والجماعات والشعوب والدول بهدوء وإصرار، ويلاحظ – حسب المترجمة– الصعود الغريب للقواعد التي تتسم بالرداءة والانحطاط، فتدهورت الجودة العالية، وغُيِّب الأداء الرفيع، وهُمِّشت منظومة القيم، وبرزت الأذواق المنحطة، وأُبعِد الأكفاء النُّزهاء.

كما ألَّف د. حجاج محمد عطية كتابه «زحف التفاهة.. قراءة في عبثية الواقع المعاصر وسبل الخروج منها»، وكانت طبعته الخاصة بالمؤلف عام ٢٠٢٣م، وقد دفعه للكتابة حول هذا الموضوع أن «التفاهة» مرحلة من مراحل التدهور إلى قاع الهاوية الحضارية، وهي المرحلة التي يتم فيها تغييب الإنسان عن حقيقة وجوده، بمسخ هويته وتزييف معتقداته وتعطيل فاعليته والنيل من عزيمته، وأن زحف التفاهة ممنهج، له سدنته ورعاته، وأن مرآة التفاهة تعكس تطوراً خطيراً في زمن السنوات الخدَّاعات، حيث يُلبَس العظيمُ ثوبَ الحقير، والخسيس ثوب الأصيل، والكاذب ثوب الصادق، والخائن ثوب الأمين، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «ستأتي على الناس سُنونٌ خدَّاعةٌ، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن في الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرَّجل التَّافه يتكلَّم في أمر العامَّة».

وقد حاول الكاتب محاكاة كتاب «نظام التفاهة» ليتحدث بنَفَسٍ إسلامي عن ميادين «التفاهة»، وكأن هذا النظام يجسِّد الوعيد الشيطاني للنوع الإنساني بالحصار الشامل، وذلك بالقسم على الغواية، والإصرار على التفاهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف)، فتحدَّث عن:

– التفاهة في ميدان الدعوة: وأن غمامة التفاهة قد أظلَّتها في المستوى الهزيل

والتكوين الهش للبناء العلمي والأخلاقي والروحي للداعية، وفي عمل الداعية، حيث تحولت الدعوة من فكرة نبيلة إلى لقمة للعيش، ومن رسالة سماوية مقدسة إلى وظيفة دنيوية مدنسة.

- وفي ميدان العلم: تم تسليع العلم و«تشييء» المعرفة، فصار العلم لمن يدفع، وانتهت جهود المؤسسات التعليمية لمن يموِّل، فتحولت إلى ساحة للهوس بالنقاط ومجرد الحصول على الدرجات العلمية كأدوات للوجاهة الاجتماعية، وكشهادات فارغة من البعد الأخلاقي والحضاري والرسالي، بل تحولت «المعرفة» إلى سلعة، و«الإنتاج العلمي» إلى مجرد مكاسب مادية، واختُزل «الإنتاج الفكري» في عالم الأشخاص والأشياء، وقد قال مالك بن نبي (١٩٠٥ – ١٨٧٣م): «فكْرُنا خاضع لطغيان الشيء والشخص، وهذا السبب سيختفي عندما تستعيد الأفكار سلطانها في عالمنا الثقافي».

- وفي ميدان الرياضة: وما فعله كهَنَتُها في مجتمعاتنا الساذجة، حتى أصبحت طاغوتاً ساحراً، وحالات مرضية تشغل الرأي العام بالأرقام الخيالية التي تحلِّق فوق سماء العقل فيما يتعلق بالمتابعات والاهتمامات والصفقات وأسعار اللاعبين، وأصبح مشاهيرها نجوماً آسرة ومحلَّ قدوة على حساب الرموز والقدوات الحقيقية!

- وفي ميدان التكنولوجيا: التي أصبحت وسيلة لاستعباد الإنسان، قد ارتبطت بها كل تفاصيل حياته حتى سلبته السلام النفسي الذي يعيشه الأحرار، وجعلت منه عصبياً متوتراً، غادرت سماءَه ظلالُ الطمأنينة لصالح غيوم القلق والاضطراب.

- وفي ميدان الفن: الذي يُفترض فيه أنه رسالة حضارية هادفة، ومرآة عاكسة للمجتمع في تربية النشء وغرس القيم وحماية الفضيلة وتنمية المشاعر الإنسانية الراقية، إلا أن جزءاً كبيراً تحول إلى ساحة للتفاهة في انتفاخ موهوم من القذارات والسخافات التي أفسدت الأذواق وشوَّهت الفطرة، بالتصدير المجوج للعري والفحش والخيانة.

- وعن ميدان الحياة اليومية: التي تعطلت فيها كوابح الغريزة وجنون الاستهلاك وعظمة التملُّك على إيقاع صخب الرفاهيات والكماليات، وضجيج الملهيات والشهوات، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه..»، وقد خلَّد التاريخ مقولة اقتصادية خالدة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليست من أساطيـــــر الأولين: «أكُلَّما اشتَهَيْتُم اشتريتم!».

«نظام التفاهة» تسبب في آثار مدمرة لشخصية الإنسان في ضميره وحريته وإرادته وعمَّق تمزقه الفكري والنفسي

السبيل إلى الخلاص من «التفاهة» تحصين الإنسان روحاً وعقلاً وجسداً واستعادة القيم الإسلامية والإنسانية

وبغياب النظرة الكلية الحقيقية عن الدنيا يقع الفرد ضحية طاحونتها التي لا ترحم مَن يقع تحت وطأة رحاها، وقد حولت الأحرار إلى عبيد، والحديث النبوي يصرخ في وجوههم: «تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ..».

إنّ «نظام التفاهة» تسبب في آثار مدمرة لشخصية الإنسان في ضميره وحريته وإرادته، وعمَّق تمزقه الفكري والنفسي، وزَيَّف مصادر الطاقة الحقيقية لروحه وعقله، واعتدت على آدميته وإنسانيته، مما أفقده الشخصية المتكاملة المستقلة والقوية، وقد ورد في الحديث الشريف: «لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إنْ أحسن الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تُحسِنوا، وإنْ أساؤوا فلا تظلموا».

إن انفجار «التفاهة» هي من انقلاب الأحوال في آخر الزمان، وهي علامة من علامات الساعة، وقد جاء في الحديث أيضاً: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يكونَ أسعَدَ النَّاسِ بالدُّنيا لُكَعُ ابنُ لُكَعَ»؛ واللُّكع هو اللَّئيم الذي لا يُعرف له أصل، ولا يُحمد له خُلُق، فهو وصف يُطلق على الحُمق والذَّم؛ أي على الصغير في العلم والعقل.

والسبيل إلى الخلاص من نظام التفاهة وعالَم الرُّويبضة هو تحصين الإنسان في روحه وعقله وجسده، واستعادة منظومة القيم الإسلامية والإنسانية، وتعزيز مناعة الأسر والمجتمعات، واستعادة مؤسسات التربية والتكوين والتنشئة دورها في محورية بناء الإنسان الرِّسالي، والاستثمار الفعلي في الواقع الحقيقي للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسِّياسية للشعوب والدول.■

حماية للبيئة أم إهانة للإنسان وتكذيب بالآخرة؟

حرق الموتى أو إذابتهم أو تحويلهم إلى سماد!

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

يؤمن المسلمون باليوم الآخر والبعث، وبأن الله تعالى يحيي الموتى، وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُقْسم على حدوث البعث، فقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧).

وتستشري في العالم الآن خاصة في الغرب حمى التخلص من الموتى بطرق تقشعر لها جلود الأبدان الحية، بحجة حماية البيئة، فهل هذا صحيح، أم أنه عدم إيمان بالبعث والآخرة؟

الحرق:

تم تقديم ممارسة حرق الجثث على النيران المكشوفة إلى الغرب من قبل اليونانيين حوالي ألف سنة قبل الميلاد، فيتم حرق جثث الجنود الذين قتلوا في ساحة المعركة، ثم يتم جمع الرماد وإرساله إلى الوطن لدفنه باحتفال يحضره عائلات القتلى.

وحكمت محكمة بريطانية لأول مرة بقانونية حرق الجثث عام ١٨٨٤م، وقد احتج الاجتماعيون والدينيون بممارسات مثل المراقبة الطويلة على جثث الموتى قبل الدفن، وفي عام ١٩٠٢م وافق البرلمان البريطاني على الحرق، وتبعته قوانين إضافية، وقد لخص مؤلف الموسوعة الكاثوليكية عام ١٩٠٨م القضية قائلاً: إن حرق الموتى بمثابة «مهنة عامة للمادية وانعدام الدين».

على الأرض، يموت ١٦٦ ألف شخص يومياً (مليون كل ستة أيام)، والعدد يزداد مع زيادة سكان العالم، وتدّعي بعض البلدان أن المساحة المخصصة للمقابر على وشك النفاد، فلجؤوا إلى حرق الموتى وصارت هي الطريقة الغالبة في الغرب، فحسب استطلاع «دراسة الموت» يقول ١٥% فقط من البريطانيين: إنهم يرغبون في أن يُدفنوا، أما الغالبية فيريدون حرق جثثهم، وتوصل نفس الاستطلاع إلى أن ثلث البريطانيين فقط (٣٣%) يؤمنون بالحياة الآخرة[١].

ويزعم البعض كذباً أن حرق الجثث يوفر مساحات على الأرض يستفيد منها الأحياء! ولا يعترفون أن الأرض واسعة للاستصلاح، وأن الحرق يتطلّب وقوداً كثيراً، ينتج ملايين الأطنان من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وتتم عملية الحرق عادة بوضع الجثة في تابوت يُحرق في فرن خاص، وتستغرق العملية ٣ ساعات.

تلاعب بالرفات:

في كتابه «عمل الموتى: تاريخ ثقافي لبقايا البشر»، يقول المؤلف: «أخبرني صياد أعرفه أنه ورفاقه أخذوا بعض رماد صديق ميت ووضعوه في قذائف البارود الأسود التي صنعها، ثم أطلقوه في هواء الغابة، أما الباقي فوضعوه حتى يمكن لغزال أن يبتلع الرماد ثم يصطادونه ليأكلوه، وأخبرتني إحدى النساء أن رماد جدتها لونت به الحبر لتستخدمه في الوشم»[٢]!

وتم إطلاق رماد مؤلف سلسلة «ستار تريك» إلى الفضاء مع رفات آخرين، كجزء من حمولة قمر صناعي إسباني، ونظمت زوجة أحد متخصصي الأسلحة حفلة إطلاق نار للصيد لأصدقائها المقربين، باستخدام خراطيش محملة برفات زوجها[٣]!

لذا، أعلن الفاتيكان أنه يجوز حرق جثث الكاثوليك، ولكن لا ينبغي نثر رمادهم في البحر أو الاحتفاظ به في الجرار بالمنزل، وأنه يجب حفظ البقايا في «مكان مقدس» كمقبرة الكنيسة، ولا يقسم الرماد بين أفراد الأسرة، «ولا يجوز حفظه في تذكارات أو قطع مجوهرات»[٤]، هذا الإعلان يدل على أن الفاتيكان قلق من أن هذه الممارسة تتضمن أفكاراً خاطئة حول الموت، من الاعتقاد بأن الموت هو النهاية النهائية للحياة، مع انتشار المفاهيم العلمانية في المجتمعات المعاصرة حول الحياة الآخرة والاستخفاف بالجثث، وتحويل الموتى إلى تذكارات للأحياء.

إذابة الجثث أو التحلل المائي القلوي:

وهي طريقة جديدة للتخلص من الموتى، حيث يوضع الميت في جهاز لإذابته، فيتم تسخين محلول قلوي قوي جداً، إلى ١٦٠ درجة مئوية، والمحلول لا يغلي لارتفاع ضغط الجهاز، تستغرق الإذابة ٩٠ دقيقة،

ثم تأتي مرحلة الشطف، والتصريف، وبعد ٣ ساعات، يُفتح الجهاز وتؤخذ العظام[٥] وتجفف، ثم يتم سحقها بآلة إلى مسحوق مثل الدقيق، وهي نفس الآلة المستخدمة بعد الحرق العادي[٦].

وحسب استطلاعات الرأي، فلا يوجد أحد تقريباً من الجمهور البريطاني سمع عن هذه الممارسة، فلما شرحت لهم، قال ٢٩%: إنهم سيختارونها لجنازاتهم الخاصة[٧]، وهذه الممارسة قانونية في أستراليا وأمريكا وكندا وجنوب أفريقيا، حيث أذيب رئيس الأساقفة «ديزموند توتو».

الموتى إلى سماد بشري!

وتقدم شركة أمريكية خدمة جديدة في ٥ ولايات لتحويل الجثث إلى «سماد بشري»، لتوفير جنازات صديقة للبيئة، وتسمى بعملية «الاختزال العضوي الطبيعي»، وأظهرت دراسة على جثث متطوعين أن الأنسجة تحللت تماماً خلال ٣٠ يوماً.

وتدّعي الشركة أن تحويل جثة إلى سماد عضوي يوفر طناً من الكربون، بالمقارنة مع حرقها، أو عملية الدفن التقليدية، وأن مخاوف التغير المناخي تدفع الكثيرين للاهتمام بهذه الطريقة، فسجل فيها آلاف الأشخاص، وتتضمن عملية تحويل الجثة إلى سماد، وضعها في وعاء مع رقاقات الخشب والبرسيم والقش، بما يسمح للميكروبات بتحليلها، وتوضع في أدراج خاصة، وبعد ٣٠ يوماً، وبعد سحق العظام وإضافته لباقي الرفات، يكون الرفات متاحاً لكي ينثره الأقارب على النباتات أو الأشجار[٨]!

العبرة لنا

نرجو ألا تصل هذه الطرق المهينة إلى عالمنا الإسلامي، فقد اعتنت شريعتنا بالإنسان وكرمته وجعلت له حرمة حياً وميتاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كسر عظم الميت ككسره حيًا» (رواه أبو داود، صحيح)، فالمسلم محترم حياً وميتاً، وحرمته بعد موته باقية، فالواجب عدم التعرض له بما يُؤذيه ويُشوه خِلْقَتَه، وليس مشروعاً في الإسلام أن يُحْرَقَ الميت، بل هذا امتهان له وحَطٌّ من كرامته، فقد حرّم الإسلام أن يُدَاس ويُمشى ويقعد على قبر الميت، فكيف بحرقه! ومن فتاوى اللجنة الدائمة: حرق جثث الموتى عمل غير جائز شرعاً، والسُّنة أن الميت المسلم يُغسَّل ويُكفَّن ويُصلَّى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

ومهما كانت طريقة الموت، أو طريقة القبر بالدفن أو الحرق أو الإذابة أو الترك، فإن الله قادر على جمعهم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (ق: ٤)، أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت، وإلى أين صارت. (تفسير ابن كثير).

وبعد، فإن أرض الله واسعة، وفيها مناطق غير معمورة على أطراف المدن تكفي لملايين المقابر، قال القرطبي في تفسير: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات)؛ أي: الأرض ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها، وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه.

والطاقة المهدرة في صناعة واستخدام الأسلحة الفتاكة، ومحركات السيارات، والأغذية المصنعة غير الصحية، وفي الملاهي وحفلات الديسكو، والأضواء الكاشفة في المباريات، لا يسأل عنها أحد، وتلتهم الصناعات الكيماوية والبترولية والمعدنية كميات طاقة ضخمة، فهل دفن الموتى في قطعة أرض صغيرة، بكرامة بعد تطهيره وغسله ببعض الماء، وستره وتكفينه في بعض القماش هو السبب في أزمة الطاقة، ونقصان الأرض المتاحة؟ أم هي قضية إيمان أو تكذيب بالآخرة؟! ■

الهوامش

(1) YouGov Death Study: Britons on life after death, 6 October 2021.

(2) The burning question – how cremation became our last great act of self-determination, Thomas Laqueur, The Guardian, 30 October 2015.

(3) King of gonzo blasts off one last time, The Guardian, 20 August 2015.

(4) Vatican issues guidelines on cremation, says no to scattering ashes, CNN, 25 October 2016.

(5) إذابة جثث الموتى «بدلاً من الحرق والدفن» في المملكة المتحدة، بي بي سي، 20 ديسمبر 2017م.

(6) ical alternative to burial 22 ,and cremation, BBC News .2017 May

(7) 'Boil in the bag' environmentally friendly funerals arrive in the UK, The Guardian, 2 July 2023.

(8) كيف يمكن تحويل جثث الموتى إلى «سماد بشري»؟ بي بي سي، 17 فبراير 2020م.

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (4)

هيبة الداعية وانبهار المدعوين به

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس الرابع بعنوان «هيبة الداعية وانبهار المدعوين به».

د. رمضان سيد أحمد

أستاذ جامعي– دكتوراة في الدعوة الإسلامية

نقصد بـ«هيبة الداعية وانبهار المدعوين به» احترام الداعية وإجلاله وتعظيم قدره، وإعجاب المدعوين به؛ مما يساعد في وصول رسالته وقبول دعوته وتحقيق غايته.

التأصيل الشرعي:

لقد أكّد الإسلام أن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال، ومقامها من أعلى المقامات، حيث قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (فصلت: ٣٣)، وقد اختار الله تعالى لها صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الدعاة الصادقين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1]، وفي هذا بيان لقيمة الداعية، وعِظَم قدره، وحثٌّ على رفع شأنه بين الناس.

التوظيف النفسي:

تسهم هيبة الداعية في إيصال رسالته وقبول دعوته وتحقيق غايته، فقد أكّدت الدراسات العلمية أن الرسالة الواحدة يكون لها تأثير أكبر على اتجاهات المستمع وسلوكه، إذا كانت آتية من مصدر له هيبته[2]، فإذا لم يكن للداعية هذه الهيبة بين مدعويه فإنه يسقط في أعينهم، ولا يستطيع النفاذ إلى قلوبهم، والتعديل في سلوكهم، فالهيبة تجعل الداعية يسيطر على القلوب ويتحكم في المشهد الدعوي؛ مما يجعل له سلطة قوية بين الناس، فينتظرونه إذا علموا بقدومه، ويتشوقون لرؤيته، ويستمعون لحديثه،

ويستجيبون لمطالبه، بيسر وسهولة.

التوظيف الدعوي:

إذا أدرك الداعية أن الهيبة أساس نفسي للتأثير الدعوي؛ فإنه يسعى إلى اكتسابها والتحلي بها، ثم توظيفها في عمله الدعوي، وذلك من خلال أمور، منها:

أولاً: تعظيم الله تعالى والخوف منه؛ فالهيبة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة اللّه ومحبته وإجلاله، فإذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور، ونزلت عليه السكينة، وأُلْبِس رداء الهيبة، فاكتسى وجهه المهابة، فأخذ بمجامع القلوب، وحنَّت إليه الأفئدة، وقرت به العيون، وأنِست به القلوب[٣].

ثانياً: حضور الداعية وجمهوره في انتظاره، فلا ينبغي أن يحضر الداعية أولاً، وإنما تأتي الجماهير، وتنتظر الداعية حتى تشتاق إليه، ثم يخرج إليهم، كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة في بيعة العقبة الثانية في أوسط أيام التشريق، بعد أن تسللوا إلى منى في موسم الحج[٤]، فكان في حضوره بعدهم إجلال له وتَشَوُّقٌ إليه.

ثالثاً: حسن المظهر، فكلما اهتم الداعية بهيئته؛ كان أقرب إلى إقبال الجماهير عليه، واستجابتهم له، وكلما كان الداعية جميل الهندام؛ كان موضع إعجاب واحترام، «فالمظهر الجذاب يساعد على تكوين صورة طيبة للمتكلم»[٥]، حيث إن هيئة الداعية هي لسان حاله قبل لسان مقاله، وهي مفتاح شخصيته قبل إلقاء بيانه.

والمتأمل في وصف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمين الوحي جبريل عليه السلام في حديث الإسلام والإيمان والإحسان يجد في قوله: «بينما نحن جلوس عند رسول الله، طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد»[٦]، تأكيد على اهتمام المدعو بهيئة المتكلم قبل سماع كلامه والاطلاع على بيانه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك[٧]، وفي هذا دلالة على أن الداعية ينبغي أن يهتم بهيئته عند مواجهة مدعويه، لما للهيئة من تأثير في نفس المدعو.

فإذا كان الداعية عظيماً، لكنه غير مهتم بمظهره، ربما سقط في أعين الناس قبل أن يتكلم، وخاصة إذا كان هذا الجمهور يراه لأول مرة، فقد أتى إياس بن معاوية المزني حلقة من حِلَق قريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميماً؛ فاستهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه، وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي مسكين تُكلمنا بكلام الملوك[٨]، ففي هذا الموقف دلالة على أن الناس ينظرون إلى مظهر الداعية قبل النظر إلى بيانه، ويحكمون على مكانته من خلال مظهره قبل كلامه.

رابعاً: إحاطة الداعية بموضوعه وإبراز قوته في التخصص الذي يتحدث فيه؛ لأن هذا يجعل مفعول خطابه أشد تأثيراً في المدعوين؛ «والسر في شدة المفعول هو أن الناس أكثر انقياداً لأقوال المتخصصين من العلماء»[٩]، ويدل على هذا ما فعله سيدنا يوسف عليه السلام، حين سأله الفَتَيان في السجن عن تفسير رؤياهما، ما كان منه إلا أن تحدث لهما أولاً عن قدراته التي وهبها الله تعالى له، حتى أسلما له القياد، وأعلنا له الانقياد.

فإذا أراد الداعية تغيير رأي أو تعديل سلوك أو إقناع بأمر من الأمور؛ لزم أن يكون دارساً له، مطلعاً عليه، خبيراً به، مدركاً لجوانبه، بحيث يراه الجمهور متخصصاً فيه، فيسمعون كلامه على أنه الحق الذي لا ريب فيه، ويجتهد الداعية في تحقيق ذلك بأن «يُورِد الأمر في صيغة جلية واضحة قريبة من أفهامهم؛ مصوَّرة لهم بصور تثير خيالهم، وتوضح لهم المبهم، وأن يورد الأدلة التي يراها موجِدة للجزم في نفوسهم؛ وإن لم توجد الجزم في ذاتها، وأن يجتهد في استدراك ما عساه يرد عليه من اعتراض قبل إيراده»[١٠].

الدليل على التأثير الناجح:

مما يدل على التأثير الناجح لهيبة الداعية وانبهار المدعوين به ما ثبت من معجزات الأنبياء، فقد أيّد الله تعالى رسله بالآيات البينات، التي تجعل النبي يسمو على قومه بإجراء الله المعجزة على يديه، فتندهش منها النفوس، وتتبهر بها القلوب، وتقتنع بها العقول، حتى يستجيب الناس لرب العالمين، ولا ينحرف بعد وقوعها إلا من سلك سبل الغواية وامتنع عن طريق الهداية.■

الهيبة تجعل الداعية يسيطر على القلوب ما يجعل له سلطة قوية بين الناس

هيئة الداعية لسان حاله قبل مقاله ومفتاح شخصيته قبل إلقاء بيانه

إحاطة الداعية بموضوعه وإبراز قوته في التخصص الذي يتحدث فيه

الهوامش

(١) صحيح البخاري، (٤/ ٦٠ رقم ٢٧٨٣).
(٢) علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية: د. ميشيل أرجايل، ترجمة: د. عبدالستار إبراهيم، ص ٢٤٢.
(٣) الروح: الإمام ابن قيم الجوزية، ص ٣٢٤.
(٤) السيرة النبوية: لابن هشام، (١/ ٤٤٣).
(٥) علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية، ص ٢٤٢.
(٦) صحيح مسلم، (١/ ٣٦ رقم ٨).
(٧) الجامع الصغير: للسيوطي، (٢/ ٤٢٠ رقم ٦٧٧٠).
(٨) البيان والتبيين: الجاحظ، (١/ ٩٨).
(٩) التفكير المستقيم والتفكير الأعوج: ثاولس، ترجمة: حسن سعيد الكرمي، ص ١٢٤.
(١٠) الخطابة: الإمام محمد أبو زهرة، ص ٤٠.

محطات إيمانية في طريق التربية..

سيد ولد آدم ﷺ

إن الحروف لتجتمع على صفحة أوراقي نشوَى بذكره، ثم لا تلبث أن تتناثر الكلمات خشية التقصير في حقه، وترتجف أناملي فرَقاً وهي تخُط حديثَ مدحه، فلا أدري كيف أكتب وماذا أكتب! وأنَّى لي الكتابة عنه، فداه روحي ونفسي! كيف لي أن أظهَر قدره، أو أذكر فضله وهو سيد ولد آدم، وخليل الله المختار، وخاتم أنبيائه ورسله، المُجاب في دعوته، والشفيع لأمته، وأعظم الناس حقاً علينا، وأوْلاهم طاعة عندنا.

أليس هو القائل عن نفسه: «أنا سيِّدُ ولدَ آدمَ يومَ القيامةَ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحمدَ ولا فخرَ، وما من نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمَن سواهُ إلَّا تحتَ لوائي، وأنا أوَّلُ من تنشقُّ عنْهُ الأرضُ ولا فخرَ» (رواه الترمذي، صححه الألباني)، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، فهو أعظم إنسان خلقه الله، وهو الرحمة المهداة؛ فكيف يوفيه حديث، أو يصفه كلام، أو يصوره بنان، أو أن يُحسن في مدحه إنسان؟!

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

إنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، سيد ولد آدم، المصطفى على سائر خلق الله، رسول الله إلى الناس كافة، البشير النذير لهم، إنسهم وجنهم، وأحمرهم وأسودهم، وعربهم وعجمهم.

قال لنا معرفاً نفسه: «أنا محمدُ بنُ عبدالله بن عبدالمطلبِ، إن الله تعالى خلق الخلْق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتَين، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركُم بيتاً، وأنا خيرُكم نفساً» (صحيح الجامع)، وقال: «إن اللَّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطَفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (رواه مسلم)، فقد اصطفاه الله واجتباه، وأتم به الدين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وعصمه وحفظه من الناس حتى يتم له البلاغ المبين.

نبينا محمد المصطفى على سائر الخلق رسول الله إلى الناس كافة إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم

هو عبد الله ورسوله، لكنه أحَبُّ العباد إليه والمقرب لديه، فقد آتاه الله من الفضائل من كل ما أوتي أنبياؤه ورسله عليهم الصلاة والسلام، فآتاه الله عزم نوح في دعوته، وصدق إبراهيم في وفائه، وانقياد إسماعيل في طاعته، ورفق يعقوب ومحبته، وعفو يوسف مع قدرته، وصبر أيوب في بلائه، وثبات موسى في قومه، وفهم سليمان في حكمه، وبركة عيسى في تعليمه، وحباه الله خُلقاً عظيماً ليس لأحد غيره وزكاه فيه فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)،

آتاه الله عزم نوح وصدق إبراهيم ورفق يعقوب وعفو يوسف وصبر أيوب وثبات موسى وفهم سليمان

وهو في ذلك كله صلى الله عليه وسلم إمام الأتقياء، وقدوة المحبين من المؤمنين، والأسوة الحسنة لهم إلى يوم الدين.

أعظم إنسان

ومع تلك المنزلة الرفيعة والمكانة العالية التي وهبه الله إياها، فإنه صلى الله عليه وسلم كان متواضعاً غير متكبر، يعترف بفقره لربه فيدعوه ويرجوه، ويستغفره ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

وكان يعيش بين أصحابه سهلاً ليناً، رفيقاً شفيقاً، رؤوفاً رحيماً، يخفض لهم جناحه؛ ويؤكد أنه نبي إنسان، يأكل ويشرب، ويصحو وينام، ويتزوج وينجب، ويصح ويمرض، ويحس ويتألم، ويفرح ويحزن، ويحب ويكره، وهو زوج صالح لأزواجه، وأب حنون لأولاده، وصديق وفيّ لأصحابه، وأخ مخلص في أُخُوَّته، وقائد بارع في معاركه، وحاكم عادل في حكمه، قد حاز الفضل والفضيلة من جميع الجوانب؛ إذ آتاه الله الخير كله وجعله أكمل خلقه، صلى الله عليه وسلم.

هو أحسن الناس عشرة وأدباً، وأوصلهم رحماً، يحب المساكين والفقراء ويجالسهم بتواضع، ويعودهم بحب، ويشهد جنائزهم بصبر، ويجيب دعوة العبد، وهو دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، لا يتكلم في غير حاجة، وكان ضحكه تبسماً.

تقول عائشة رضي الله عنها تصف أخلاقه: «كان أحسَنَ النَّاسِ خُلقاً، لم يكن فاحشاً ولا مُتفحِّشاً ولا سخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ ولكنْ يعفو ويصفح» (رواه ابن حبان)، «كان يخصِفُ نعلَه ويَخيطُ ثوبَه ويعمَلُ في بيتِه كما يعمَلُ أحَدُكم في بيتِه» (رواه أحمد)، «كان بشراً من البشر؛ يَفْلِي ثوبَه، ويحلبُ شاتَه، ويخدم نفسه» (رواه أحمد)، صلى الله عليه وسلم.

ويذكر ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم «كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقِلُ الشاة، ويُجيب دعوة المملوك على خبز الشعير» (صحيح الجامع)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عابَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ طَعاماً قَطُّ، إنِ اشتهاه أكَله، وإن كرهه تركه» (رواه البخاري)، فلقد اجتمع فيه جمال الخَلق وحسن الخُلق، فهو أجمل مَن رأى إنسان، وأفضل من أظلت السماء، وخير مَن حملت الأرض، صلى الله عليه وسلم.

الحبيب إلى أمته

فرض الله علينا حبه وطاعته، فهو المحبوب من أمته، وإن قلوبهم لتهفو للقرب منه وتتمنى رؤيته، صلى الله عليه وسلم، ولقد أكد وجوب حبنا له فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري)، ولأننا نحبه؛ فإن علينا أن نتعرف عليه وننظر ماذا يحب، وماذا يكره؟ ما الذي يرضيه منا؟ كيف نستأثر بحبه ونفوز بقربه؟ لا نشبع من حديثه، بل نلازمه في سيرته ونمشي على طريقته ونتتبع خطاه وسُنته.

ألا وإن المحب الصادق يهتم بكل حرف يسمعه من حبيبه، يصدقه فيه ويؤمن به، ويدعو إليه، وينافح عنه ويذب تحريف المبغضين له، وتأويل المشككين فيه، يُقبِل على رسائله بلهفة وشوق، وإذا طلب منه طلباً فإنه يسعى بكل جهد وحب لامتثال أمره، طيبة بذلك نفسه، أملاً في إرضاء الحبيب صلى الله عليه وسلم.

فلينظر كل منا كيف يكون حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، فحبه عبادة وقربة لله، وجدير بكل منا أن يختبر صدق هذا الحب فيسأل نفسه: أين أنا من أمره ونهيه؟ وأين أنا من شرعه وحكمه؟ أين أنت من منهجه وسنته؟ وأين أنت من أدبه وخُلقه؟

ولتسأل نفسك أيها المحب: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً بيننا وأتاك زائراً في بيتك، وكان مصاحباً لك في عملك، ناظراً إلى عبادتك وخُلقك، يشهد معاملتك لزوجك، وتربيتك لولدك، وعلاقتك برحمك، وغير ذلك مما تَعلمه من نفسك، أيسُرك أن يراك كما أنت الآن؟ أم أن علامات الخجل والاستحياء ستبدو على وجهك؟ سؤال يجيب عنه المحبون ليصلح حالهم، ويرقى حبهم لسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.■

عبده دسوقي
باحث في التاريخ الحديث

مصلحون رحلوا في أكتوبر..

الرويح والجارالله وأبو غدة

زخرت الأمة الإسلامية بمن أرشدها إلى حسن طاعة ربها، والدفاع عن شريعتها، والحفاظ على ثوابتها، إلا أنه بين الفينة والأخرى يرحل علماء ومصلحون، لكنهم رحلوا بعدما تركوا آثاراً وبصمات في نفوس أبناء هذه الأمة، ومواقف وتاريخاً يضيء ظلمات الدجى أمام الحيارى من شباب وشابات هذا الوطن المكلوم.

وليد الرويح..
والاقتصاد الإسلامي بالكويت

لا يستطيع أي إنسان أن يحيا دون أن تكون له غاية في حياته، ووليد الرويح سعى لتحقيق غايته وهدفه في مجال الاقتصاد الإسلامي بالكويت.

ولد وليد عبدالرحمن الرويح في منطقة المرقاب بدولة الكويت، في ٥ ذي القعدة ١٩٧٠هـ/ ٨ أغسطس ١٩٥١م، وتعد عائلة الرويح من العائلات ذات الدور المشهود في تاريخ الكويت الحديث.

درس بمدرسة المرقاب قبل التحاقه بمدرسة المأمون، وأكمل تعليمه الجامعي في تخصص إدارة الأعمال، فحصل على درجة البكالوريوس عام ١٩٧٣م، ثم أكمل دراساته العليا في إنجلترا وأمريكا وحصل على الماجستير في إدارة الأعمال عام ١٩٧٧م من جامعة «كلارك» الأمريكية.

عمل في بداية حياته العملية في الخطوط الجوية الكويتية من عام ١٩٧٣م كمراقب للمنظمة الدولية للطيران (الأياتا) في إنجلترا، ثم معيداً بجامعة الكويت عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٧٩م.

واكتسب خبرة كبيرة من سفره خاصة في مجال السيارات استطاع أن يوظفها عند التحاقه للعمل ببيت التمويل الكويتي.

بعد عودته من أمريكا عمل كمحلل مالي حتى عام ١٩٨٠م، ثم مدير الإدارة التجارية حتى عام ١٩٨٣م، ومساعداً للمدير العام للقطاع التجاري حتى عام ١٩٩٢م، ثم أسس شركة لاستيراد السيارات.

لقد كان من جهود الرويح تفصيل نظريات ومناهج الفكر الاقتصادي الإسلامي، وتحويله من مجرد حبر على ورق إلى واقع منتج مثمر خاصة في فترة عمله في بيت التمويل الكويتي، وكانت له جهود وآثار ملموسة في النهوض بهذه المؤسسة العريقة.

وليس ذلك فحسب، بل ساعد في تأسيس ٧ شركات بدول الخليج، تقوم أساس معاملاتها على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

كانت لخبرة الرويح دور عظيم في تولي العديد من المناصب في مختلف المؤسسات والبنوك، وكانت بصماته واضحة على الشباب الذي سعى لتوريثهم الخبرة.

تعرض لحادث سيارة عام ١٩٨٤م عندما كان عائداً من مكة المكرمة إلى جدة بعد أداء مناسك العمرة؛ سببت له شللاً نصفياً، لكنها لم تدفعه للعزلة أو الكسل أو الدعة، بل تحدى المرض وواصل النجاح في مختلف المجالات الاقتصادية الإسلامية.

كان الرويح يقاتل من أجل إنجاح فكرة الاقتصاد الإسلامي وترويجها في عالمنا الإسلامي، وتحويله من المجال النظري إلى الواقع العملي التطبيقي.

ظل الرويح يعمل بجد واجتهاد حتى وضع الاقتصاد الإسلامي بمعاونة الكثيرين من محبيه على خريطة الاقتصاد العالمي حتى توفاه الله في ٢٣ ذي الحجة ١٤٣٥هـ/ ١٧ أكتوبر ٢٠١٤م[1].■

الهوامش

(١) عادل عصفور: وليد الرويح المربي القدوة، مجلة «المجتمع»، العدد (٢١٧٢)، ربيع الأول ١٤٤٤هـ/ أكتوبر ٢٠٢٢م، صـ٦٢.

(٢) الكويت تفقد أحد رجالاتها في العمل الخيري: مجلة «المجتمع»، العدد ٢١٧٣، ربيع الآخر ١٤٤٤هـ/ نوفمبر ٢٠٢٢م، صـ٦.

(٣) سامح أبو الحسن: وفاة العلّامة الاقتصادي د. عبدالستار أبو غدة، مجلة «المجتمع»، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٠م.

أحمد الجارالله.. بين العمل الدعوي والخيري

واحد من قامات الكويت الذين جمعوا بين العمل الدعوي والخيري حتى تركوا بصمات ملموسة في هذه المجالات؛ إنه العم أحمد الجارالله الحسن الجارالله، أحد مؤسسي جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية عام ١٩٦٣م.

ولد العم أحمد الجارالله، في ٦ يناير ١٩٢٠م، بمدينة الكويت القديمة في أسرة عُرفت بالتدين.

درس في المدرسة المباركية، واتجه للعمل الحر؛ فكان مثالاً للتاجر الصادق الأمين، وقد كان الكثير من رجال القبائل يعهدون إليه بأموالهم وأماناتهم لحفظها؛ لما اشتهر عنه بحسن الخلق وحفظ الأمانات، وكان في ذلك صاحب همة في إصلاح ذات البين، ومساعدة القريب والبعيد، فكان هديه القرآن الذي حاول ترجمته وتطبيقه عملياً في سلوكياته وأعماله.

ولم يقتصر همه على أهل الكويت، بل كان قلبه متوقداً بهموم المسلمين في كل مكان، فكان يتابع أخبارهم ويتوجع لوجعهم ويسعى لمساعدتهم أينما كانوا، قدر استطاعته، وكان يشارك إخوانه في جمعية الإصلاح الاجتماعي ذلك الهم.

لقد كان مبرة خيرية متحركة منذ صباه، جعل حياته وقفاً لله تعالى لصنع المعروف لدينه وإسلامه وأهل بلده وبلاد المسلمين، فما ترك بلداً إلا وله فيه يد خير خفية.

وليس ذلك فحسب، بل عُرف بمرجعيته بتاريخ أهل الكويت وبأدبه وعمله الخيّر

بصمت وهدوء، وابتلاه الله بالمرض فلم يكن إلا صابراً محتسباً.

وبعد حياة قضاها في خدمة دعوته الإسلامية وكفالة الفقراء ومساعدة المحتاجين والعناية بهم، رحل العم أحمد الجارالله عن عمر ناهز ١٠٣ أعوام، في ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢م؛ ودفن بمقبرة الصليبخات بالكويت[٢]. ■

عبدالستار أبو غدة.. الفقيه الاقتصادي

ولد أ.د. عبدالستار عبدالكريم أبو غدة، في عام ١٣٥٩هـ/ ٢٨ يناير ١٩٤٠م، بمدينة حلب بسورية، في أسرة متدينة، حيث كان عمه العالم الجليل عبدالفتاح أبو غدة.

نشأ على حب الدين، والتحق بمراحل التعليم حتى تخرج في كلية الشريعة عام ١٩٦٤م من جامعة دمشق، ثم حصل على بكالوريوس في الحقوق عام ١٩٦٥ من نفس الجامعة.

واصل دراساته العليا في جامعة الأزهر بمصر، فحصل على ماجستير في الشريعة عام ١٩٦٦م، ثم ماجستير في علوم الحديث عام ١٩٦٧م، وأخيراً حصل على الدكتوراة في الشريعة بالفقه المقارن عام ١٩٧٥م من جامعة الأزهر.

كان صاحب خبرة كبيرة في دراسة الزكاة والأوقاف، وفقه المحاسبة والمراجعة، والدراسات القانونية، والدراسات التربوية، وتحقيق المخطوطات، والطب الإسلامي، وعمل في العديد من الجامعات العربية في الكويت والسعودية ومصر وغيرها.

وحينما استوطن الكويت عمل باحثاً وخبيراً بالموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت منذ إنشائها حتى عام ١٩٩٠م، وعضو مجلس المعايير والمجلس الشرعي لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية منذ ١٩٩٥م.

وعمل، كذلك، أستاذاً زائراً في مركز صالح كامل للدراسات الاقتصادية في جامعة الأزهر بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩١م، كما عمل رئيساً للهيئة الشرعية في بنك سورية الدولي الإسلامي عام ٢٠٠٦م، واختير عضواً في المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وفي العديد من المؤسسات المالية والمجامع الفقهية.

أصدر عدداً من المؤلفات، منها: «الخيار وأثره في العقود»، «دور الفقه الإسلامي في العصر الحاضر»، «بحوث في الفقه الطبي والصحة النفسية من منظور إسلامي»، «دليل الزكاة».

كان صاحب تأثير في مجاله الذي جمع بين العلم الاقتصادي والعلم الشرعي، وظل كذلك حتى توفاه الله يوم الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٤٢هـ/ ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٠م، عن عمر ناهز ٨٠ عاماً في مونتريال بكندا[٣]. ■

الثمن الفادح لاغتراب الزوج!

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا وزوجي في مشكلة أرى أنها يمكن أن تدمر حياتنا، وقد نصحنا أحد الإخوة باستشارتكم بعد أن وصل بنا النقاش إلى طريق مسدود.

الحمد لله، أمورنا طيبة وليس لدينا تقريباً مشكلاتنا في علاقاتنا، فزوجي يبذل قصارى جهده للقيام بمسؤولياته كزوج وأب، وكذلك من ناحيتي، فأنا في منتصف الثلاثينيات، وزوجي في الأربعين من عمره، تزوجنا منذ حوالي ١٥ عاماً ورزقنا الله بثلاثة أولاد (محمود ١٤ سنة، ووليد ١٠ سنوات، وهبة ٧ سنوات)، ورغم اجتهاد زوجي في عمله، فإننا لا نحيا في رغد من العيش، وتلبية متطلبات البيت والأولاد تمثل همّاً شهرياً لزوجي، ولكننا بصفة عامة نحيا في سعادة ووئام يغبطنا عليها المقربون من الأهل والأصدقاء، كما أننا بفضل الله لا نحرم أولادنا من التنزه والرحلات التي تتناسب مع قدراتنا، وعندما يطلب الأولاد الذهاب للمطعم مثل أصدقائهم أعمل لهم أفضل الطعام بأقل تكلفة ممكنة.

منذ شهر أخبرني زوجي أن صديقه الذي يعمل بالخارج، قد أخبره بأن منصباً مرموقاً براتب متميز متاح بالشركة التي يعمل بها، ويرى أنه كفؤ لهذه الوظيفة، فرفضت الفكرة، فقال: سوف أرسل أوراقي ونفكر معاً، منذ أسبوع دخل عليَّ متهللاً ويكاد يطير فرحاً!

ماذا بك؟ قال: تم قبولي، فبادرته: تم تعيينك رئيساً لمجلس الإدارة؟! رد: لا.. سأسافر، تم اختياري، ثم أردف معقباً: هل تعلمين كم الراتب؟ فقاطعته وأنا غاضبة: هذا فقط ما فكرت فيه؟! قال: من أجلكم يا حبيبتي نبني بيتاً، نشتري سيارة أحدث موديل، يدخل الأولاد أفضل الجامعات..

فقلت: وأنا والأولاد؟! قال: من حقي إجازة مدة شهر في السنة، ولكنني سأحاول أن أنزل كل ستة أشهر، قلت له: تنزل لمن؟ أنا لا أستطيع تحمل مسؤولية الأولاد بمفردي، فرد: الحمد لله وسائل التواصل الاجتماعي صوتاً وصورة يومياً، وسأتابع معك الأولاد، فقلت: وأنا أهون عليك؟ ألا تخاف عليَّ؟! لماذا تحرمنا من بعض ونحن أحياء؟!

قال: هل تعتقدين أنني لن أعاني من بُعدي عنكم؟ ولكن من أجل أن أعمل مستقبل لأولادنا، ومن أجلك أنت قبلهم، ألم تحلمين بعقد ألماس..؟!

قلت: لم نطلب منك التضحية، نحن ولله الحمد في نِعَم كثيرة، قال: أنسيتِ الآن سهرة أول كل شهر ونحن نجتهد للتوفيق بين متطلبات المعيشة ودخلنا؟ ماذا ندفع وماذا نؤجل؟ قلت: أولادنا يحتاجون لك كأب أكثر من احتياجهم للتوسعة المادية، كما أن محموداً في سن مراهقة ومحتاج من يكون

بجانبه في هذه المرحلة الحرجة من حياته، وهل نسيت تعلّق هبة بك؟ ماذا سأقول لها، وهي عادة ما ترفض تناول الطعام مع إخوتها حتى تعود من عملك وتتغدى معك؟

في النهاية، لم نستطع الوصول إلى حل، بل وتعقدت علاقتنا؛ هو يتهمني بقصر النظر وعدم تقدير المسؤوليات التي يتحملها، وأنني أرفض مشاركته في أعباء الأسرة وأتحمل مسؤولية الأولاد مع متابعته من خلال الإنترنت، وأنني لا أقدّر تضحيته.

أستاذي الكريم، حقيقة الأمر أنني مترددة! أحياناً أرى أنها نعمة من ربنا وفرصة العمر، وأجد نفسي مقتنعة بسفر زوجي وأحلم برغد العيش، ولكن سرعان ما أتذكر كيف أعيش دون زوجي؟ الحمد لله أنا مصلية وأعلم كيف أجنب نفسي الفتن، ولكنني بكل صدق أخاف على نفسي، ولماذا أُحرم من زوجي؟ أيضاً مسؤولية الأولاد ومتابعتهم، خاصة أن زوجي والد مهتم بأولاده ومتابعتهم وعلاقتهم أكثر من ممتازة، وكثيراً ما يصاحبهم في أنشطتهم داخل البيت وخارجه، وكيف لي إن وجدت الوقت أن أقوم بدوره؟ بالإضافة إلى دوري كأم.

لقد اتفقنا أن نستشيرك وأن يرتضي كل منا برأيك، فبماذا تنصحنا؟

التحليل

بداية، يجب بيان التفريق بين الحقوق الشرعية التي يجب أداؤها والمباح الذي يمكن الاجتهاد فيه، إن ضرب الزوج في الأرض سعياً لطلب الرزق ومن متطلبات قوامته، وهذا فرض عليه، ولكنه ليس الفرض الوحيد، فهناك حقوق أخرى عليه لزوجته، لا تقل أهمية، بل قد تزيد، فمن حقوق الزوج على زوجه إعفافه سواء عاطفياً أو جنسياً، وأداء هذا الحق منوط برقبة الزوج، فإن قصر الزوج في النفقة على زوجته -أي كان سبب التقصير- فقد تعوض الزوجة ذلك بدعم من والدها أو أخيها أو مالها الخاص، أما إذا كان التقصير في الارتواء العاطفي أو الجنسي، فمن يعوضها عن هذا الحرمان؟ لذا، لا يجوز شرعاً أن يبتعد الزوج عن زوجه إلا بموافقته وعن طيب نفس.

إن طبيعة الأنثى الحياء والخجل، وتتباين الزوجات في احتياجاتهن الزوجية سواء من الإشباع العاطفي أو العلاقة الحميمية، وكل زوج يعلم احتياجات زوجته، وفرض عليه في حدود قدراته أن يلبي هذه الاحتياجات سواء من حيث المعدل أو الكيفية، وتظل حقوق الزوجة معلقة برقبة زوجها لأنها من الأمانات التي سيسأل عنها؛ لذا فلا يحق لأحد الزوجين الابتعاد عن زوجه إلا بمرضاته وعن طيب نفس.

كما يجب على الزوج عدم الضغط على زوجته حتى توافق، فيمارس ضغطاً نفسياً على الزوجة لتضطر للموافقة سواء خجلاً واستحياء أو درءاً لثورة زوجها أو لومها وتحميلها مسؤولية ما قد يترتب على عدم سفره من أمثلة إضرار الزوجة، التي لا تجوز شرعاً.

الاستثمار في الأولاد أَوْلى من الاستثمار لهم وهذا لا يتأتى إلا بالقرب منهم

كثيراً ما بيَّن الأطباء الآثار السلبية سواء النفسية أو البدنية للتباعد الزوجي، أما مستشارو العلاقات الزوجية والتربية فيحذرون من التباعد الأسري، وأنه من أهم الأسباب التي تؤدي إلى اضطراب العلاقات الزوجية وتحول دون التربية السوية.

تباعد الزوجين

حتى تعم الفائدة -حيث كثرت التساؤلات حول تباعد الزوجين- سيكون المعيار هنا القاعدة الشرعية «درء المفاسد مقدم على جلب المنافع»، و«فقه الأولويات»، و«ما يتم الواجب إلا به فهو واجب».

- إن من المقاصد الشرعية للزواج هو السكينة النفسية للزوجين والتواد والتراحم بينهما؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، وهذا لا يتحقق إلّا بالمعاشرة الحسنة.

- قيام الزوج بقوامته؛ أي القيام بمسؤولياته تجاه زوجته؛ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٤)، إن بُعد الزوج يُحدث خللاً بنفسية زوجته، لأنها تتعود على إدارة شؤونها والأولاد، ويتضاءل دور الزوج في إدارة بيته وقد ينحصر في الإنفاق فقط!

- تحميل الزوجة فوق طاقاتها.

- تعرضها للأخطار، فقد تضطر للذهاب بالابن المريض ليلاً إلى المستشفى.

- كذلك الزوج، فإن حرمانه من زوجته يؤثر عليه سلباً نفسياً وعلى قدراته كزوج، والأخطر أن يتعود الزوج على العيش بمفرده، حتى إن بعضهم ينزعج من ضوضاء الأولاد وينتظر عودته من الإجازة.

- يفقد الأب العلاقة الطبيعية بأولاده

لماذا أُحرم من زوجي؟ وكيف لي أن أقوم بدوره بالإضافة إلى دوري كأُم؟

ويتحول دوره إلى مجرد منفق! فعلى سبيل المثال اتصل أحدهم بي وهو ثائر: «ما هذا العقوق! الولد الذي أنفقت عليه حتى تخرج في أحسن الجامعات، لم يتصل بي منذ طلبه مني تكلفة حفلة تخرجه، وعندما قررت العودة قال أصغرهم: لا تعد حتى تستكمل لي ثمن الشقة وقد أقرته أمه على ذلك»! كان ردي عليه: لقد عققتهم قبل أن يعقوك!

- إن الاستثمار في الأولاد أولى من الاستثمار للأولاد، وهذا لا يتأتى إلا بالقرب منهم.

- ناهيك عن تعرض الزوج للفتنة، ونسأل الله العفو والعافية فقد يسقط أو يتزوج ويضاعف ظلمه لزوجته.

- فقدان الوالد لمتعة التربية ومتابعة نمو أولاده وتطور مراحل حياتهم.

- أما عن الأولاد، فكثيراً من الدراسات أشارت إلى أن السبب الرئيس لجنوح الأولاد عدم وجود محضن تربوي، إن قيام الزوجة بدور الأم والأب ليس فقط تحميلاً فوق طاقتها، بل ظلم فادح لها؛ لأنها غير مهيئة لذلك؛ مما يؤثر دائماً سلباً على الأولاد.

ارضَ بما قسم الله لك والأَوْلى بذل جهدك في طلب الرزق بجانب زوجتك وأولادك

- تعوّد الأولاد للتعامل مع أمهم في كل شؤونهم، وتلاشي دور الأب، وبشعورهم بالنقص خاصة الذكور في المرحلة المتوسطة والثانوية، عندما تحضر أمهم إلى المدرسة إذا ما تطلب الأمر ذلك.

هذه بعض السلبيات التي تتعرض لها الأسرة وأفرادها نتيجة هروب الزوج من مسؤولياته بحجة البحث عن الرزق.

فما بالنا والمشكلة التي نحن بصددها، والمبرر الذي يتعلل به الزوج هو تحسين الدخل وتوفير مستوى من الرفاهية لأسرته؟!

قد يبرر البعض: «إنني أتابع زوجتي والأولاد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي صوتاً وصورة»! يمكن الرجوع لاستشارة بعنوان «التربية عن بُعد»، إن التربية تتم من خلال المعايشة: النموذج واللعب والمتابعة والتوجيه المباشر وغير المباشر.. فكيف حتى إذا اتصل الوالد يومياً عدة ساعات أن يسمي ذلك تربية؟!

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ، فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدِهِ وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على بيتِ سيدِهِ وهو مسؤولٌ عنهُ، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ» (رواه البخاري، ٢٥٥٤).

رسالتي إلى الزوج الذي يبرر بُعده عن أسرته وتخليه عن مسؤوليته وأمانته التي سيسأله الله عز وجل عنها، أن يتقي الله في نفسه وزوجه وأولاده، يقول المولى عز وجل: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات)، ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٣١)، ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

ارض بما قسم الله لك، وبذل جهدك في طلب الرزق الطيب بجانب زوجتك وأولادك والقيام بقوامتك لأسرتك ورعايتها هو الأولى، فاحتياجهم لك كزوج ووالد أهم من التوسعة المادية.■

لا يحق لأحد الزوجين الابتعاد عن زوجه إلا بمرضاته وعن طيب نفس

الأب حينما يصارع الهاتف!

أحمد عبدالواحد

تكاد تكون معركة غير متكافئة بالمرة بين الأب والهاتف، متبوعة بأضرار جسيمة، وخسائر فادحة، وآثار سلبية، تؤثر على عملية التربية، والتماسك الأسري، ومنظومة القيم التي يريد كل أب أو أُم غرسها في نفوس أطفالهما.

إن الأب الذي يكافح من أجل توفير متطلبات الحياة، ويعمل نهاراً وليلاً بهدف إسعاد أبنائه، إنما يخوض معارك عدة على جبهات مختلفة، في زمن تهيمن عليه وسائل الاتصال والتواصل، وعالم يقوده التطور التكنولوجي، والنهم المادي، والنمط الاستهلاكي؛ الأمر الذي يهدد دوره التربوي، ومركزية وجوده وحجم تأثيره في صناعة النشء الجديد.

قد يجد المرء نفسه في معركة غير معلنة مع الجوال؛ بهدف انتزاع طفله من شاشات ذكية، وأزرار باللمس تجلب من كل حدب وصوب ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، دون وعي أو إدراك إلى خطورة ذلك.

وقد يخوض الأب معركة علنية مع ابنه؛ ليستأثر باهتمامه بعيداً عن«واتساب»و«فيسبوك» و«إنستجرام» و«يوتيوب» و«تيك توك».. وغيرها من التطبيقات التي باتت وجهة مفضلة لأبنائنا، وبديلاً في أحيان كثيرة عن الأب والأم.

وقد يمتعض ابنك، وينفر منك، إذا حاولت إقناعه بالعدول عن إدمان الهاتف، أو تحديد وقت لاستخدامه، أو قصر مشاهداته لتلك الشاشات والتطبيقات، خلال وقت معين.

وربما يصل الأمر إلى صدام، إذا قررت التدخل وسحب الهاتف منه، أو معاقبته حال انشغل به عن المذاكرة، أو الصلاة، أو صلة الرحم، وغيرها من الأعمال المفيدة، والأنشطة النافعة.

ألم أقل لكم: إنها معركة غير متكافئة، تضع الأب في مأزق صعب أمام جهاز صغير، قد يلوث بصر وسمع وعقل الطفل، وهو لا يدرك أن أباه يريد دفع الأذى عنه، وجلب كل الخير له؟!

إن هذا الطفل لا يعي، أو لا يريد أن يدرك، حجم ما تسببه تلك الهواتف والشاشات والألعاب الإلكترونية من أضرار، وآلام في الرأس والعينين، والعمود الفقري، وضعف السمع والبصر، واضطراب النوم، وتشتت الانتباه.

وقد يتهاون فيما سيلحق به من آثار نفسية خطيرة، منها تسلل العنف والعدوانية إلى ذاته، ودخوله إلى عالم العزلة الاجتماعية، فضلاً عن تدني التحصيل الدراسي، والنسيان، وضعف الذاكرة، والإصابة بالاكتئاب والسمنة، وغيرها من الآثار النفسية والجسدية الضارة.

وفق دراسة صادرة عن جامعة ميتشجان الأمريكية، فإن تقنيات الاتصال الحديثة لها أثر سلبي بالغ في سلوك الطفل، إذ تسبب له سرعة التوتر والغضب والشعور بالإحباط.

الخطير في الأمر انقطاع تواصل الآباء مع الأبناء، بسبب الهواتف الذكية، وهو ما تعاني منه ٤٨% من الأسر، بمعدل ٣ مرات يومياً على الأقل، في حين يحدث انقطاع في التواصل بشكل يومي مع ٢٤% من الآباء، بحسب الدراسة.

وتؤكد الدراسة أن هناك ارتباطاً واضحاً بين زيادة انقطاع التواصل بين الآباء والأبناء؛ بسبب الانشغال بالهواتف الذكية، وأن هناك تعطلاً في وظائف الأبوة وأدوار الأمومة؛ بسبب تلك الهواتف، مشددة على ضرورة مراجعة سياسة استخدام وسائل الاتصال الحديثة، والحد من تأثيراتها، وتجنب تداخلها مع أدوار الأب والأم، والحفاظ على الوقت المخصص لرعاية الأبناء، والاعتناء بهم، وتجويد المحتوى التربوي المقدم لهم.

كأب، أشعر أنني أخوض معركة صعبة، تتطلب مني في كثير من الأحيان إلى النزول إلى مستوياتهم العمرية، والفكرية، والتحرر من قيود الوظيفة وأعباء الحياة، وخوض نزالات معهم في الجري والمصارعة وكرة القدم والشطرنج، وغيرها من الألعاب، التي تتفوق على الهاتف في أحيان كثيرة.

كذلك تجب مشاركتهم هواية ما، أو الخروج في نزهة إلى الخارج، أو النزول إلى غمار حمام السباحة، وتبادل المزاح والضحكات معهم، وانتزاعهم لسويعات من أَسْر الهاتف اللعين.

وقد يستلزم الأمر من الأب التخلي عن وقاره الأسري، فيجري وراء هذا، ويداعب هذا، يلعب بألعابهم، كالصلصال والمكعبات وغيرها من الألعاب، ويرسم معهم لوحة من السعادة تبدد الملل، وتكسب معركة الهاتف.

ومن المهم أيضاً وضع حوافز أو جوائز لمن يقلل استخدام الهاتف، وتعويدهم على مساعدة الأهل في البيت، أو التسوق معهم، والقراءة بصحبتهم، مع توجيه النصح والإرشاد بأن الحياة ليست هاتفاً فقط، بل فيها أسرة ومسجد ومدرسة ونادٍ ومحيط اجتماعي، وغير ذلك من منصات تعود بالنفع على الإنسان.

إن الأمر جدي، والمعركة صعبة، والمواجهة مطلوبة، حتى لا يصاب ابنك بالإدمان الإلكتروني، ومعه تفقد دورك كأب ومربٍّ.■

ثروة علمية على الرف أو رهينة الأدراج!

أ.د. زيد بن محمد الرماني
مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن العديد من البحوث والدراسات ثروة علمية لم يتم استثمارها الاستثمار الأمثل في معالجة العديد من المشكلات التنموية التي نعاني منها في واقعنا المحلي، إذ بمجرد تخرّج الطالب يستحيل هذا الجهد العلمي المتقن بنتائجه الدقيقة إلى مجموعة من الأوراق التي تستودع إما درجاً أو رف مكتبة.

ولقد تم التوصل من خلال دراسة بحثية بعنوان «تعظيم الاستفادة من مخرجات الدراسات العليا في خدمة قضايا التنمية والتطوير» إلى أنه لا توجد استفادة حقيقية من ٩ آلاف رسالة، وذلك حتى عام ١٤٢١هـ، تمثل إجمالي نتائج الدراسات العليا من الرسائل العلمية حينذاك، وقد قدرت تكلفتها التقريبية بحوالي مليارين وسبعمائة مليون ريال سعودي، وهذا يوضح مقدار الهدر والفاقد الناتج عن عدم الاستفادة من تلك الرسائل.

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد الجامعات في الدول العربية ارتفع من ١٢ جامعة في عام ١٩٤٥م إلى أن أصبح يفوق ٢٤٠ جامعة، كما بلغ عدد كليات الدراسات الجامعية أو العليا أكثر من ٦٠٠ كلية، في حين بلغ عدد طلاب التعليم العالي ٦ ملايين طالب وطالبة في عام ٢٠١٠م؛ ما يعني أن ثمة ملايين الرسائل الجامعية الغنية بالأفكار الجديدة والإحصاءات الدقيقة والتوصيات النافعة لم يستفد من أكثرها، حيث لم تسهم هذه الرسائل الإسهام الأمثل في دعم خطط التنمية والتصدي للمشكلات والتحديات التي نواجهها في واقعنا العربي.

إن الجامعات تعلن باستمرار عن أعداد الحاصلين على درجة الماجستير أو الدكتوراة، وتحتفي بتخرجهم كل عام، ولكن تبقى قضية البحوث العلمية معلقة، حيث لا تزال هناك مئات الدراسات والأبحاث رهينة الأدراج.

ولقد أكد أكثر من باحث أكاديمي أن هناك جهات تنفق الملايين على دراساتها من دون تفعيل؛ لأن تفعيلها يحتاج إلى إمكانات مالية غير متاحة، وفي الوقت نفسه ربما تنفيذ بعض الدراسات قد يحتاج إلى تغييرات إما هيكلية وإما جذرية في بنية المؤسسات، أو يحتاج إلى إصلاحات كبيرة، على الرغم مما بذل فيها وصرف عليها، سواء كانت جهوداً مالية أو ذاتية، فهذه مشكلة.

بل إن هناك دراسات مؤسسية ودراسات موجهة تم الصرف عليها لمواجهة مشكلة معينة؛ إذاً هناك قصور في الوقت الراهن في تبني بعض الدراسات والأبحاث العلمية.

إن البحث الأصيل والموجه الذي يعالج مشكلة معينة هو البحث الذي يمكن أن يستفاد منه، فبعض البحوث تعمل لمتطلبات معينة؛ إما الحصول على درجة علمية وقد لا يحقق هذا البحث مردوداً فعلياً على المجتمع، أو على المشكلة التي يناقشها، وإنما هو لإجراء البحث كمتطلب أكاديمي، ومثل هذه الأبحاث لا تكون جيدة أو أن يكون لها مردود جيد.

إن معظم الأبحاث العلمية في العالم العربي أبحاث غير موجّهة، وغير مطلوبة، وللأسف لا توجد بحوث موجهة لتشخيص المشكلات والتحديات أو تحديد الاحتياجات التي تواجه التنمية أياً كان نوعها، بمعنى أن الأبحاث غير مطلوبة من الوزارات والأجهزة المختلفة، بل إن بعض هذه الجهات تستعين بجامعات أجنبية، رغم أن لديها باحثين في جامعات الوطن وتتجاهلهم؛ ما يضطرهم إلى التركيز في أبحاث بقصد الترقية العلمية، فالكل يسبح في عالم مختلف.

إن هناك كثيراً من الأبحاث الجيدة التي لم يتم نشر نتائجها في الدوريات أو حتى المؤتمرات، وهنا يكمن الخلل؛ حيث ستبقى هذه البحوث حبيسة الأدراج والأرفف والملفات ولن يطلع عليها أحد.

في كل عام يتم إنجاز العديد من الأبحاث العلمية داخل وخارج المملكة عن المملكة وشؤونها، ويشارك العديد من الأفراد والجهات في تنفيذها ولأهداف مختلفة، وغالبية هذه الأبحاث يتم نشر نتائجها، ويتم إثبات عدد من التوصيات ذات العلاقة بالنتائج التي تم التوصل إليها في ضوء أهداف البحث ومتغيراته.

ومع ذلك، لا نجد لهذه الأبحاث التي يتم القيام بها نتائج كبيرة في حل العديد من المشكلات التي تواجه المجتمع، أو ليست لها نتائج كبيرة يكون لها عامل تأثير على المستوى المحلي أو الإقليمي، وهذه الأبحاث بالإمكان أن تكون رافداً قوياً لتنفيذ دراسات لها قيمة علمية، ويمكن توجيهها بما يخدم المجتمع.■

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

الأمانة العامة للأوقاف
Kuwait Awqaf Public Foundation

امنحهم تعليماً

500

طالب من ابناء السجناء
بحاجة لدفع رسوم التعليم

ج9 / ت ج د 2 / 2023

التبرع .. عن طريق الاستقطاع البنكي أو عن طريق كي-نت

بيت التمويل الكويتي
Kuwait Finance House
011140010577

بنك الكويت الوطني
NBK
1000314577

24834414 94064061
www.altkaful.com

@Takaful.Association
@altakaful

ISO 9001:2015

نمـــاء الخيريـــة
NAMAA CHARITY
جمعية الإصلاح الاجتماعي
يمنع الجمع النقدي
إغاثة اليمن
غــذاء، دواء، إيــواء
18888 33
www.namaakw.net
@namaanet
نهتـــم بالإنســـان